روايات أحلام

مارغريت ويل

أنت وحدك

١٦

روايات أحلام

أنت وحدك . مارغريت ويل

ساندرا كانت مصممة على أن لا تساعد جايمس كوريللي بشيء.. إنه شخص لا يطاق!

ولكن لماذا وافقت على البقاء معه في باريس، لتأخذ مكان شقيقتها كسكرتيرة له؟ هل يكون السبب هو سحر باريس المدينة الأكثر رومانسية في العالم؟ أم أنه سحر جايمس نفسه. . . .؟

تصدر عن دار الفراشة

حقوق الطبع والاقتباس والنشر
محفوظة للدار
تصدر عن دار الفراشة

ص. ب ١١/٨٢٥٤ بيروت ـ لبنان

روايتي

١ ـ نوع خطير من الرجال

وقف جايمس كوريللي، وظهره إلى مساعده الشخصي، ستيفن مارشال، وأصابعه تقبض على طرف الطاولة النحاسية قرب النافذة... باريس تمتد من وراء النافذة، والسماء القرمزية بدأت ألوانها تخف لتصبح معتمة أكثر، بتقدّم المغيب. ولكن جايمس لم يكن يتمتع بالمنظر، فقد كانت أفكاره منحصرة بالمؤتمر الطبي الذي سيحضره في الصباح التالي...

ونظر بقلق إلى ساعته، وقطّب. ثم أخذ يذرع الغرفة وكأنه نمر محبوس في قفص.

وتحرك ستيفن فوق السجادة السميكة لغرفة الاستقبال في الجناح الخاص من فندق «كلير مونت» وصبّ كوبين من القهوة:

ـ اهدأ يا جايمس.. خذ هذا..

وأعطاه فنجان قهوة. واستدار جايمس ليواجه الرجل المسنّ، وانتزع منه الفنجان بقوة لم تكن ضرورية.. وعيناه قد ضاقتا من

الغضب والقلق. ورشف قليلاً من فنجانه، وعندما تكلم كان صوته جافاً بشكل غريب.

ـ إذا لم تصل نتيجة الفحوصات المخبرية الليلة، سيكون هذا ضياعاً لجهد ثلاث سنوات من العمل. ولا أستطيع الاستمرار في هذا المؤتمر من دون هذه النتائج. ولا أستطيع أن أخطب غداً دون أن يكون لديّ شيء أعلن عنه!

المستحضر الهرموني الجديد الذي كانوا يعملون على تركيبه منذ مدة طويلة سيكون بالنسبة لهم آخر أمل للمساومة. فهناك منافس رئيسي يتربص بهم، شركة «يونيمت».. شركة مستحضرات كوريللي الطبية كبيرة بما يكفي، ولكن جايمس يريدها أن تكون أكبر. وبهذا المستحضر الجديد، سوف يكونون في مركز أقوى بكثير... ولكن جايمس لم يكن مندفعاً بسبب جنون العظمة، بل أن قلبه يتجه اتجاهاً آخراً، إنه يفعل هذا لحبه واحترامه للمرحوم والده ولموظفيه المخلصين. وللمؤسسة الخيرية التي أنشأها وأحبّها والده طوال حياته.

ولكن الكارثة، ضربت، واضعة الشركة على شفير الهاوية، فغرفة الكومبيوتر تخلّفت عن القيام بدورها في الساعات الأخيرة، وأتلفت عدة صفحات رئيسية ومهمة من نتائج الأبحاث.. وبدأ الذعر يدب في النفوس، وعمل الفريق الباحث طوال الليل وها هي الأبحاث الآن في طريقها إلى باريس لأجل المؤتمر.

ولكنها لم تصل بعد، وهذا ما كان يجب أن يحدث منذ ساعات، وضغط الخوف على معدة جايمس وكأنه أفعى شيطانية تلتف حولها. وراقبه ستيفن بقلق. فهذا الرجل قد توصّل ليكون محل حب واحترام تماماً كما كان والده من قبل، فقد ولد والده ليكون راعياً للمرضى. كان طبيباً، وليس رجل أعمال، ولكن مَن كان يتوقع أن يصل الأمر

إلى هذه المرحلة؟ لقد أخذ جايمس كوريللي العمل عن والده، وقوّى شركة كوريللي للمستحضرات الطبية حتى أصبحت في القمة.. وهذا المستحضر الجديد، إذا نجح، سوف يكون من صنعه.

ومرّر جايمس أصابعه في شعره الأسود الكثيف، ثم فرك جانب وجهه بقوة، والتقط نظارته وأمسك كومة أوراق وقال بتصميم:

ـ لنعد درس هذه الأرقام يا ستيفن.. ستصل النتائج.. يجب أن تصل!

* * *

ـ عفواً.. اسمي كايسي.. ساندرا كايسي.. أنا..

ـ أوه.. أجل آنسة كايسي.

ورفع موظف الاستقبال في فندق «كلير مونت» رأسه إليها واستطرد:

ـ لقد تأخرت.. أليس كذلك؟ السيد كوريللي متلهف كثيراً لوجودك معه.

وضحكت، ثم قالت:

ـ لا.. أنا ساندرا.. أترى؟ شقيقتي... لم تستطع.

وقاطع كلام ساندرا مجموعة من الألمان كلهم يريدون أن يحجزوا في نفس الوقت. وهزّت كتفيها ووقّعت على كشف الزوار. إذ لم يكن من المجدي الآن أن تشرح بأنها ليست مساعدة السيد كوريللي الشخصية، باربرا كايسي، ولكن شقيقتها ساندرا.

ووقفت لحظات لتلتقط أنفاسها محاولة إيجاد مكان المصاعد. وتسارعت نبضات قلبها.. إذاً هكذا تعيش شقيقتها الكبرى... تطير حول العالم مع رئيسها، رئيس شركة كوريللي للمستحضرات الطبية، روما، جنيف، ومدريد. كلها زارتها هذه السنة، والوقت لا يزال في شهر نيسان. سوف تكلّفها الإقامة في مثل هذا المكان لليلة واحدة،

ما تكسبه في اسبوع من عملها في معرض الفنون إضافة إلى ما تكسبه في عملها الليلي في المقهى. وتوجهت نحو أبواب المصعد المذهبة.

وتذكرت في المصعد أنها لم تسأل موظف الاستقبال عن غرفة السيد كوريللي، وكان المصعد قد توقف عند الطابق الثالث، حيث غرفتها.. بل غرفة شقيقتها، ويجب أن تتذكر هذا، لذا عليها أن تتصل بموظف الاستقبال لتسأله.

وقطبت ساندرا وهي تتذكر الحادث الذي حصل لشقيقتها هذا الصباح، فقد كانت تقطع المنعطف عند ساحة البيكاديللي عندما صدمتها دراجة نارية، ولحسن الحظ، لاحظها سائق الدراجة وتوقف بسرعة، متجنباً بهذا إصابة أكثر خطورة لها. وقرر المستشفى أن يبقيها تحت المراقبة.. وحضرت ساندرا بسرعة إلى المستشفى، لتقول لها باربرا إن عليها إيصال خمسة اسطوانات كمبيوتر، ومغلّف من الأوراق إلى جايمس كوريللي قبل موعد المؤتمر الطبي في الصباح التالي.

وقالت لها باربرا وهي تبكي وتتوسل من علي فراشها في المستشفى:

ـ يجب أن تقومي بهذا لأجلي يا ساندرا.. جايمس بحاجة لنتائج هذه الأبحاث.. فالمستحضر الآن جاهز للأسواق بعد ثلاث سنوات من العمل ومؤتمر باريس هو مكان انطلاقه.. سوف يلقي خطاباً في الصباح أمام المؤتمر، وهو أول متحدث... ويجب أن أكون معه...

وتلاشى صوتها عند هذه النقطة ومضت بضع دقائق قبل أن تعاود كلامها:

ـ أوه يا ساندرا.. لقد كانت غلطتي في فقدان بعض الأبحاث في الكومبيوتر. وكان الجميع رائعون معي وغطّوا غلطتي، وعملنا طوال

الليل للتصحيح، ثم حدث هذا.. لا أستطيع أن أخذله للمرة الثانية يا ساندرا. عليك أن تأخذي النتائج إلى باريس. إنها ذات أهمية حقيقية... وأنت الوحيدة التي يمكن أن أثق بها!

ولم تتردد ساندرا، ووافقت على الفور بعد أن لاحظت شحوب وجه أختها الشديد. وأسرعت إلى المنزل، لتوضب حقيبتها، وتتصل بالمكانين اللذين تعمل بهما لتدبّر أمر الإجازة. ثم أحضرت التذكرة التي دبرتها لها باربرا باتصال هاتفي من المستشفى، وها هي الآن في باريس تسير نحو شقتها في فندق «كلير مونت» وعلى وشك أن توصل الحقيبة الصغيرة الثمينة للسيد جايمس كوريللي، والذي من المؤكد أنه سيغمى عليه من العرفان بالجميل.

غرفتها.. بل غرفة باربرا.. كانت جميلة، باريسية جداً، فخمة أثاثها من طراز لويس الرابع عشر. وتساءلت ساندرا ما إذا كانت باربرا تنوي استقبال رئيسها في هذه الغرفة. فقد كان بينهما علاقة، وهذا أمر مؤكد لساندرا. ولو أن باربرا لم تعترف أبداً، ولكن شيئاً ما كان يحدث لوجهها كلما تحدثت عنه... أجل، ساندرا هي أكثر من تواقة لمقابلة هذا الرجل.

هذه ثاني زيارة لساندرا إلى باريس، هذه المدينة السحرية. الأولى كانت في رحلة مدرسية، لم تسجل الكثير من الذكريات في ذهنها. مجرد ذكريات مشوشة لبرج إيفل الرائع، وإحدى صديقاتها تضيع في المترو، وها هي قد عادت ثانية، كراشدة وفنانة، وتستطيع أن ترى وتحس بكل ما يمكن لباريس أن تظهره لها.

وسارعت إلى حقيبتها لتخرج أوراق رسم وأقلاماً ملونة. وجرّت مقعداً ثقيلاً إلى قرب النافذة، وأخذت تخطط مشهد الشارع أمامها. كان المنظر رائعاً، الإضاءة المثالية، والظلال العميقة للأزرق

والرمادي، بعض الألوان الذهبية والصدئة. متوالفة بشكل رائع...

ورنّ جرس الهاتف في مكان ما من الغرفة، ولكن ساندرا كانت مستغرقة بما تفعله، فلم تنتبه له. لقد كان عليها أن تتخلى عن السنتين الأخيرتين من دراسة الفنون لترعى والدها المريض إلى أن مات. ولم تحصل لذلك على أي مؤهلات، وفاتها أن تحصل على مستقبل عملي. فاتتها الحياة بشكل عام. وظيفتها في معرض الفنون، بائعةً مواهب الناس الآخرين كان أهم شيء حققته منذ وصولها إلى لندن لتعيش مع شقيقتها باربرا.

واستمر رنين الهاتف بإصرار، وتطلعت ساندرا حولها في الغرفة، ونظرت ببلاهة إلى الهاتف قرب السرير. لا بد أن الرقم خاطىء. فلا أحد يعرف بأنها هنا.. ما عدا باربرا... والمستشفى! وطارت نحو الهاتف.

ـ باربرا! ماذا تفعلين بحق الجحيم؟ لقد أبلغني موظف الاستقبال بأنك وصلتي منذ ساعة. كم سيستغرقك من وقت لتنتهي من فكّ حقائبك؟

ولم يترك لها الصوت مجالاً للردّ، بل تابع عاصفاً:

ـ تعالي إلى الجناح في هذه الدقيقة!

وتأملت ساندرا بالسماعة في يدها، ثم نظرت إلى ساعتها.. لا بد أن هذا جايمس كوريللي، ولم يكن مخطئاً. لقد مضى عليها هنا ساعة، ونسيت سبب وجودها في باريس.

وطلبت موظف الاستقبال بسرعة وسألته عن رقم جناح جايمس كوريللي، ولحسن الحظ كان الجناح في نفس الطابق. وأمسكت الحقيبة الصغيرة في يدها وأسرعت نحو الباب، فتحطمت أقلام التلوين التي وقعت منها تحت قدميها على السجادة الفاتحة اللون.

وصاحت بيأس... «أوه... لا» هذه غلطته، فقد صاح بها على الهاتف وأفزعها. ومسحت الأثار بمنشفة، مما زاد الأمر سوءاً. فحذبت كرسياً كبيراً فوق أثر التلوين وتمنت أن لا تلاحظها الخادمات... وبعد ثوانٍ قليلة كانت تركض في الممر، تمسك بالحقيبة الثمينة قرب صدرها.

ووقفت مقطوعة الأنفاس خارج باب الجناح.. هذه سخافة.. لماذا هي خائفة وكأنها طفلة مدرسة تأخرت عن صفها؟ وهذا الرجل ممكن أن يكون صهرها في المستقبل.

وطرقت على الباب الخشبي بخفة. وبينما هي تنتظر الردّ، أخذت تتصور ذلك الرجل. جايمس كوريللي، رئيس باربرا وحبيبها، شقيقتها في السادسة والثلاثين، أكبر منها بأربعة عشر سنة، وجايمس. لو أن القانون النسبي للأعمار معمول به، كان يجب أن يكون أكبر من باربرا بستة سنوات على الأقل، أي في الثانية والأربعين. ولكن ساندرا تذكرت أن شقيقتها قالت لها إنه رئيس مجلس إدارة هذه الشركة، ورئيس مجلس حملة الأسهم ايضاً، لذا من الممكن أن يكون أكبر سناً. وهكذا تخيلته ساندرا: قصير... سمين... صوته كالرعد، وتصرفاته تصرفات طبيب!

وطرقت ساندرا الباب ثانية بقوة أكبر. ربما يكون لا يسمع أيضاً. ومع ذلك لم يردّ. ومدّت يدها إلى مقبض الباب، ولم يكن مقفلاً، لذا دخلت، وأرهفت السمع. وسمعت صوت ماء، ولكنها لم تكن متأكدة.

كانت تقف في ردهة أنيقة، وكل الابواب حولها مقفلة. وترددت ساندرا.. أي باب تفتح؟ لا تريد أن تقتحم غرفة نومه. ثم لم يعد الأمر يهمها بعد أن نظرت إلى نفسها في مرآة مثبتة على الحائط،

وأطلقت شهقة، شعرها الطويل الأشقر كان متجمعاً دون ترتيب في ذيل حصان عند مؤخرة رأسها مربوط بشريط زهري، بنطلون الجينز، وجهها، يديها كلها ملطخة بالألوان، حتى كنزتها الزهرية اللون لم تنجو من التلطيخ، إنها وسخة تماماً!

وبسرعة وضعت الحقيبة بين ساقيها وبدأت تعمل، وهي تميل إلى الأمام نحو المرآة. ولعقت أطراف أصابعها بلسانها، وأخذت تمسح بها وجهها. ثم استرعى انتباهها شيء ظهر في المرآة... زوج حذاء اسود لماع، وبنطلون طويل ذو تفصيل رائع.

واستقامت ساندرا في وقفتها، ثم ضحكت للرجل الأنيق الذي كان يستند على حافة الباب، وهو يراقبها عبر نظارته. لا بد أنها ضبطت على يد أحد مساعدي جايمس كوريللي.

ـ عفواً. أنا أرتب نفسي قليلاً للقاء السيد كوريللي. لقد قرعت الباب ولكن أحداً لم يردّ عليّ... هل هو هنا؟

واستدارت إلى المرآة ثانية ومسحت لطخة زرقاء عن وجهها بظهر يدها. وأمسكت بالحقيبة من بين ساقيها، ونظرت إلى نفسها للمرة الأخيرة في المرآة بإعجاب، ثم ولأن الرجل الذي كان يراقبها لم يردّ عليها عرفت، في لحظة مريعة فظيعة.. عرفت.

واستدارت لتواجهه.. وعيناها مفتوحتان على اتساعهما. وقالت باضطراب:

ـ سيد كوريللي؟

ولم يتكلم، ولا كلمة. وببطء تحركت يده لتزيل النظارة ذات الإطار السميك عن وجهه وعينيه.

وانحبست أنفاس ساندرا في حنجرتها، بسبب تأثير ذلك الرجل عليها وهو دون نظارات. كان عنده القدرة على تفريغ الهواء من الغرفة. ليتركها مخيفة وفارغة. لم يكن قصيراً، ولا سميناً، ولا كبيراً

في السن... بل طويل، نحيف وأسمر الملامح، في أواسط الثلاثين. على الرغم من أن الشيب قد بدأ يخالط شعره الأسود اللماع الذي حيّرها.

وقابلت ساندرا نظرته المرتابة بفضول. فبالرغم من مظهره الجذاب بدا بارداً وغير مهتم. ووجدت أفكارها وقد عادت إلى شقيقتها.

أجل... كم من السهولة تصور هذين الاثنين كحبيبين... مثل حب «الروبوت»! لا وجود للدفء، والعاطفة الإنسانية بينهما.

ـ أنا ساندرا كايسي.. شقيقة باربرا.

الاسمين اللذين برزا من فمها لم يسجلا رداً عنده، أو أنه يظهر الكثير من عدم الاكتراث. وبدا لها أنها قد تكون مخطئة حول شخصيته التي لم يوضحها. وقد يكون موظفاً... ولكن لا.. فهذا الرجل لا يمكن أن يكون موظفاً، الطريقة التي يقف بها، الطريقة التي ينظر بها، وكأنها أمامه لا شيء، بقعة حبر على ورقة، وتبدو عليه ملامح السلطة. وحاولت ثانية:

ـ باربرا كايسي.. سكرتيرتك.. حسناً أنا شقيقتها ساندرا.

ودون ان يتكلم.. أعاد النظارات إلى عينيه، وراقبت ساندرا تحركه الرشيق، كان مثل الفهد الأسود وهو يستدير عنها ويفتح الباب إلى غرفة الاستقبال، ودخل الغرفة، والتقط الهاتف قرب النافذة. وسمعته يصدر تعليماته بعدم إزعاجه، ثم استدار ليواجهها، فتسمّرت ساندرا في مكانٍ ما من منتصف الغرفة..

قسماته كانت قاسية جداً، وشعرت بدون سبب بالخوف. ومع أنها لا تستطيع رؤية عينيه من وراء النظارة، فقد استطاعت أن تشعر بعدم ثقته وضجره منها.

ـ حصل لباربرا حادث، وهي في المستشفى ولهذا أنا هنا...

إصابتها ليست خطرة.. وأتوقع أن تتصل بك فيما بعد. ولكن عندما تركتها هذا الصباح...

أوه.. لا فائدة، وتلاشت الابتسامة عن شفتيها.

ـ أنت لا تصدقني.. أليس كذلك؟

ـ بصراحة يا عزيزتي... لا.

ونظرت إليه ساندرا ببرود، لقد جعلها تبدو أكبر مما هي بسنوات، ولم تتوقع هذا من رئيس باربرا.. ولماذا تخاف منه؟ ومنحتها هذه الفكرة المريحة بعض الشجاعة، وتمسكت بالحقيبة بقوة أكثر، وتنفست عميقاً:

ـ وبصراحة سيد كوريللي.. لست مهتمة بتصرفاتك. شقيقتي راقدة في المستشفى قلقة عليك. وأظن أن من الأدب أن لا تشك بي وتستمع إلى ما سأقوله دون أن تنظر إليّ عبر أنفك بازدراء وكأن قطة ما قد جرّتني إلى هنا!

وخلع النظارات ثانية، ونظر إليها بعينيه الرماديتين الباردتين بغضب.

ـ لقد وصفت نفسك بدقة. كيف تتوقعين مني أن يكون رد فعلي عندما تقتحمين المكان هنا بقصة غير منطقية عن كونك شقيقة سكرتيرتي؟ من الأفضل أن تجربي قصة أفضل من هذه إذا كنت تنوين أن تلفتي انتباهي أكثر من العشر ثواني التي أنا مستعد لتحملك فيها.

ومد يده ونظر إلى ساعته الذهبية، بينما كانت ساندرا تحدّق به بذهول، وبدأ يعد الثواني.. بطريقة عكسية!

ـ ثلاثة اثنان.. صفر.

واعاد كم قميصه فوق الساعة، وأعاد نظارته ف[illegible]نه، ومد يده إلى الهاتف ليتصل برجال أمن الفندق.

ولعشرة ثواني، وقفت ساندرا مكانها مصعوقة... ثم انفجرت

بالغضب، وأسرعت إلى الأمام وجذبت الهاتف من يده، وقالت بالفرنسية إن هناك خطأ ما، واعتذرت بلباقة وأقفلت السماعة.

ولأول مرة حصلت على رد فعل من هذا الرجل، مجرد التواء بسيط من طرف فمه، ونبضة غضب على خده. وأصبح غاضباً... ولكنه غضب مسيطر عليه، وهذا أكثر مما تستطيع ساندرا أن تقوله عن غضبها. وصاحت به وعيناها الخضراوان تلتمعان بجنون:

ـ هل فقدت عقلك؟ خذ.. هذا ما أتيت هنا من أجله.

ووضعت الحقيبة أمامه على الطاولة، وهي فزعة من القوة التي مرت منها، وتسببت في تطاير بعض الأوراق المرتبة على الطاولة، وحدت الأوراق تتهادى وبدا وكأنها لن تحط أبداً على الأرض.

ـ أنا آسفة...

وانحنت فوراً فوق الأوراق لتلتقطها، ولكن لسوء الحظ لكليهما، خطرت لجايمس نفس الفكرة. وحدث تصادم محرج لرأسيهما وكتفيهما، وانحرفت نظارة جايمس فوق أنفه. فوقف وأمسك بالنظارة ورماها فوق الطاولة ومرر أصابعه في شعره.

وكان هذا أكثر مما تستطيع ساندرا أن تتحمله. فوقفت ولكن بساقين ضعيفتين.

ـ أنا آسفة...

ولكنها توقفت لتعض على شفتها لتمنع الضحكة التي أوشكت أن تنطلق منها. ثم انحنت ثانية وأمسكت الحقيبة بيدها وحاولت لملمة الأوراق بالأخرى... وصاح بها:

ـ اتركيها!

وتوترت أعصاب ساندرا.. واه.. الرجل ليس «روبوت» على كل... إن له طبعاً حامياً.

ـ أنا حقاً آسفة...

ـ وتوقفي عن اعتذاراتك اللعينة!

وانتزع الحقيبة من يدها، وراقبته وهو يتفحص محتوياتها. ثم أعاد كل شيء إلى مكانه ودفعها في جارور الطاولة. وأقفل عليها، وتأكد من إقفال الجارور، ثم وضع المفتاح الذهبي في جيبه.

وحرّكت ساندرا قدميها باضطراب. لقد صدمها ما شاهدته لتوها. فمع أن باربرا قد ركّزت على أهمية هذه الحقيبة، إلا أن ساندرا ظنت أن هذا الاهتمام سببه علاقتها الرومانسية مع رئيسها. والآن أدركت مدى خطئها. فهذه الأشياء مهمة فعلاً. وأحسّت بالفخر لإحضارها الحقيبة سالمة له. وسألها:

ـ كيف وصلت هذه الحقيبة إلى بين يديك؟

وانهار افتخار ساندرا... إنه ما زال لا يصدقها.

ـ لقد قلت لك. وإذا كنت لا تصدقني فتلك مشكلتك. وليست مشكلتي! أنا لم أسرقها، اذا كان هذا ما تفكر به... فمن الصعب التصديق بأنني أسرقها من شقيقتي وأطير بها إلى هنا لأعطيها لك. هل هذا ممكن؟ والاسطوانات كلها موجودة هنا، عددها خمسة، ولقد تأكدت منها بنفسك.

واستدار ببطء حول الطاولة ليقف أمامها، وأجفلت ساندرا لقربه منها. وجهه اختلف فجأة. أصبح مليئاً بالعدائية، وعضلات فكيه تشتدان من الغضب. وعيناه اللامعتان تنظران إلى وجهها المحمّر، ثم تستقران على عينيها وكأنهما تدخلان إلى أعماقها.

ـ ولكنني لا أعرف ماذا يوجد في هذه الاسطوانات... أليس كذلك؟ ربما تكون ألعاب كومبيوتر لحرب الفضاء... من يعلم؟ في الواقع، لدى هذا الرجل روح النكتة.

ـ هل تتهمني بتبديل هذه الاسطوانات...؟

وبدا عليها الغضب والضيق لاتهاماته المجنونة، وهز رأسه بكل قوة وقال:

ـ لا... انت صغيرة جداً وغبية لتتورطي في التجسس الصناعي، ولكن قد يكون أحدٌ ما دفعك لهذا...

ـ تجسس صناعي! أنت مجنون! أتعلم هذا؟ وأنت الغبي، لو سألتني. ولم يدفعني أحد لأي شيء. وإذا كان هذا صحيحاً لما كنت هنا الآن لتحمّل التهجم منك... صحيح؟

ولمع عدم التأكد واضحاً في عينيه للحظات، ثم أصبحتا أقسى من قبل وأكثر اتهاماً.

ـ معك حق.. ولكن لديّ أيضاً ارتياب بأنك أذكى مما تتظاهرين به يا آنسة.. مهما كان اسمك..

وصرّت ساندرا بأسنانها وتراجعت عنه، فقال:

ـ ولا تبتعدي عني عندما أكون أخاطبك. فربما ظننتي أنك ستخدعين بسحر عينيك هاتين أن تقنعيني بإعطائك بعض المعلومات. ولم يكن هناك أي خطأ بما يعنيه، وكبتت ساندرا شهقة صدمة سماعها آخر اتهام قاله. جايمس كوريللي مجنون بالعظمة.. وعندها فقط أدركت الجانب المضحك من هذا كله. فهذا الرجل يعتقد فعلاً أن ساندرا كايسي الصغيرة قادرة على ان تتلاعب بسحرها الأنثوي عليه لتحصل على أسرار شركته.

فضحكت غير مصدقة:

ـ اتظن أنني هنا لأغويك وأنتزع منك أسرار تركيباتك الطبية الثمينة.. أليس كذلك؟

ـ أليس هذا صحيحاً؟

ـ هه... أنت مغرور ومتعجرف وغبي سيد جايمس كوريللي! يا للسماء! ستقتلها باربرا لهذا الكلام، ولكنها تابعت:

ـ واظن أنك بحاجة إلى حقنة من هرموناتك هذه... فأنت وكأنك مثل «ماتا هاري» الجاسوسة!

وبهذا، استدارت على عقبيها واتجهت نحو الباب. ولكنها لم تصل. فقد امتدت يد قوية لتعيدها أمامه، ولكن أقرب اليه هذه المرة، قريبة لدرجة أنها أحست بأنفاسه الدافئة، وصُدمت. ملاحظته التالية كانت صادمة أكثر:

ـ ليس باستطاعتك إغواء «كازانوفا» ولو كان لم يرى امرأة منذ أشهر! وأنت تعرفين الكثير مما في هذه الحقيبة!

كان يعني ذكرها للهرمونات، وتمنّت ساندرا من كل قلبها لو أن باربرا لم تذكر لها شيئاً... ولو أنها لم تحصل لها تلك الحادثة... يداه كانتا تمسكان بكتفيها بقوة، ولكنها لم تحاول المقاومة للإفلات منه... لماذا.. لم تستطع أن تعرف. فقوته ثبتتها في مكانها بكل بساطة. وعيناهما كانتا متشابكتين بمعركة صامتة. وحدّقت به بيأس، منتظرة أن يقول شيئاً. أي شيء، حتى ولو كان اتهاماً آخر، يمكن له أن ينهي قبضته القوية المؤلمة عليها.

ومع ذلك، لم تكن خائفة، والتقطت انعكاس صورتها في عينيه، وصممت أن لا تتأثر بهذا الرجل المؤثر، وشعرت أيضاً بشيء لم تفهمه.

واستطاعت ان تتخيله وشقيقتها بين ذراعي بعضهما، وشعرت بألم غريب يغزوها. شقيقتها الجميلة وهذا الرجل المدمر. وعلى الرغم من كل ما حدث منذ التقت به، فقد استطاعت أن تلاحظ قدرته على اجتذاب النساء. إنه متحفظ، يشكل تحدياً. ويملك عاطفة مخبئة، وغضبه السام دليل على ذلك... وكم من المغري أن تدفع هذا الغضب إلى أقسى حده... ووجهت أفكارها الشريرة ناحية باربرا،

وأحست بأن جسدها كله يثور.

هذا الرجل هو حبيب أختها باربرا، ومع ذلك لم يظهر أي اهتمام عندما قالت له إنها في المستشفى... حقاً.. إنه لا يصدق أنها شقيقة باربرا، ولكنه كان يتوقع وصول سكرتيرته، ولا بد أنه الآن يدرك بأن شيئاً ما ناقص. ولكن، لا.. إنه بارد. ومع أنها تعلم أن عليها أن تكرهه لأجل هذا، إلا أنها لم تفعل... ولم تستطع تحليل لماذا تشعر بهذه الطريقة... وشعرت بارتياح غريب بأنه لا يشعر بجاذبية قوية لباربرا كما تشعر بها نحوه. ولكن ما استطاعت تحليله وتضعه في موقعه الصحيح، هو أن هذا الرجل هو نوع خاص من الرجال...

نوع خاص وخطر....

☆ ☆ ☆

٢ ـ وظيفة بالقوة

ـ إذا كنت تشير إلى ذكري للهرمونات، فباربرا هي التي أخبرتني أن الاسطوانات تحتوي على نتائج اختبارات دواء هرموني وهذا كل شيء. ولا أعرف المزيد، أؤكد لك..

ورمت ساندرا، جايمس كوريللي بنظرة جانبية، ويداه لا تزالان على كتفيها. وتابعت:

ـ والآن ارفع يديك عني أو سيكون دوري في الصراخ كي يأتي رجال أمن الفندق.

وتركها، ووجدت نفسها ترتعد. وحدّقت به عبر رموشها الكثيفة. كان الجو بينهما بارد ومتفجر، وابتعد عنها فجأة نحو الطاولة، ولم تكن ساندرا متأكدة مما ستفعل.. أتخرج أم تحاول أن تقنعه؟ ولكن من أجل ماذا؟ لقد حصل على اسطواناته الثمينة... أليس كذلك؟ واختارت الفكرة الأولى، ولكنها لم تكد تخطو خطوتين حتى أمرها بالعودة.

ـ لن تذهبي إلى أي مكان قبل أن تقدّمي بعض التفسيرات.

واستدارت لتواجهه، ولكنه كان مديراً ظهره إليها. وأخذت ساندرا

تتفحصه. كان شعره أسوداً لماعاً تحت الضوء المنبعث من الثريا الكريستال المتدلية فوق رأسه. ظهره عريض، ينتهي بخصر تغطيه سترته الضيقة. الرجال في البذلات، يبدون ساندرا، فالبذلات كاللحى، تغطي حقيقة الرجل من تحتها. وتساءلت كيف هو جايمس كوريللي الحقيقي.. أم هذا هو ربما، الرجل الفظ المتعجرف، الذي يتوقع من الجميع القفز عندما ينادي. وقالت له بهدوء:

ـ أنا شقيقة باربرا.. وقد حدث لها حادث. وقالت لي كم أنت محتاج بشكل مستعجل لهذه الاسطوانات، لأجل مؤتمرك، وأرادت مني أن أحضرها لك. وبصراحة، أتمنى لو أنها لم تطلب مني هذا.. فأنا لست مستعدة لأن أتهم بأنني كاذبة...

وتهدج صوتها، فتوقفت عن الكلام. وكان جايمس سريعاً في ملاحظة تغيّر نبرات صوتها، فالتفت نحوها.. ولكي تغطي الإحراج الذي أحسّت به، ابتلعت ريقها بقوة، وأجبرت الكلمات على الخروج من حنجرتها بحدة:

ـ لقد أديت لك خدمة عظيمة بقدومي إلى هنا.. وأنت تعلم أن العالم ليس مُحتكراً لشركة كوريللي للمستحضرات الطبية. لقد اضطررت لأن آخذ عطلة من عملي... وكلمة شكر لي لن تذهب سدى!

ولم تحصل على كلمة شكر. ولكنه قدّم لها بعض القهوة وقال:

ـ الأفضل أن تجلسي قبل أن تقعي.. أنت تبدين شاحبة.

شاحبة! وهل هذا عجيب؟ وغرقت في أقرب مقعد أمامها. على الأقل جعله الارتجاف في صوتها، يدرك أن هذه ليست طريقة لمعاملة سيدة. وتطلعت بالجينز الذي ترتديه، وتمنت لو أنها غيّرت ملابسها قبل الدخول إلى جناحه. فهي لا تبدو أبداً كسيدة، فالجينز لا يفرض الاحترام

ـ هل تحبين أن تشربي شيئاً آخر؟

فأدارت وجهها نحوه.

ـ أوه... آسفة، أي شراب منعش.. أرجوك.

ـ وعلى أي شراب أنت معتادة؟

وبدا مشككاً بها مرة أخرى، تلك التكشيرة الخفيفة عادت إلى زوايا فمه.. هل هو الغضب، قلة الصبر؟

ـ ليس أي شراب قوي كما تعتقد!

وندمت فوراً على هذا القول الحاد. ولمعت عيناه بالدهشة فتراجعت إلى القول متنهدة:

ـ أنا آسفة... ولكنني لست معتادة على توجيه الاتهامات لي بكوني جاسوسة... أي شراب مع صودا. أرجوك.

ـ ألا تحبين المشروب الفرنسي؟

ـ أعتقد أنني لا زلت صغيرة على تذوقه. فمذاقه لا يروق إلا للكبار. وأنا لست معتادة عليه بعد.

وارتفع حاجبه الاسود لردّها.

ـ ربما تفضلين بعض العصير مع الصودا. فربما هذا يناسب ذوق المبتدئين.

ولم تكن واثقة ما إذا كان يسخر منها أم لا، فأجابت:

ـ أجل... أرجوك. سيكون هذا جيداً.

واطرقت رأسها، وعاد الغضب يشتعل في داخلها وهو يصب لها الشراب. إنه حقاً يظن بأنها ليست ذكية. ولكنها لن تدع هذه الإهانة تمر. وتناولت الكوب الذي قدّمه لها، وتركته إلى أن جلس في مواجهتها، وطاولة صغيرة تفصل بينهما. وقالت له:

ـ قد يكون لي ذوق المبتدئين سيد كوريللي.. ولكن ليس هناك من

شيء خاطىء في عقلي. فأنا أعرف تماماً الفرق بين الشراب المنعش والشراب المسكر.

ووضعت الكوب على الطاولة دون أن تمسّه، وكانت على وشك النهوض للانصراف، إلا أن اعتذاره أوقفها:

ـ أنا آسف... أعتذر، لقد صببت لك من زجاجة أخرى بالخطأ، ولأكون صادقاً معك، ذهني منصرف إلى شأن آخر.

ـ انظر... الأمر لا يهم.

وتمنّت لو أنها لم تقل هذا لأنها لاحظت فعلاً أنه يقول الحقيقة، لقد بدا بالفعل بعيداً. وتابعت على عجل:

ـ لقد ظننت فقط... لا يهم.

كانت على وشك القول بأنه يحاول أن يسخر منها، ولكنها كانت قد قالت له ما يكفي. وابتسم لها قائلاً:

ـ يبدو أنك خبيرة بالمشروب.

وهزّت رأسها، وكالعادة أجابت بصدق:

ـ لا.. لست خبيرة، ولكنني أعمل ليلاً في مقهى، وأعلم أن المشروب الخفيف لا يكون في زجاجة كهذه...

وأشارت إلى الزجاجة التي صبّ منها المشروب لها. فضحك، وشعرت ساندرا بحركة غريبة في معدتها. فعندما يبتسم... أو يضحك، يصبح أكثر فتنة. يا لباربرا المحظوظة.. وارتشفت بعضاً من الشراب.. بماذا تفكر بقولها، باربرا المحظوظة؟ تستطيع التأكيد بأنه شخص متوحش، للعمل معه. ولكن ما من شك أن الساعات التي تقضيها باربرا معه بعد العمل تعوّض عن هذا. وأحسّت بالمرارة لهذا التفكير.

ورمشت عينيها، لأنه كان يحدق بها. وكأنه خمّن بماذا تفكر، قال:

ـ لم أكن أعلم أبداً أن باربرا لديها شقيقة، ولكنني الآن وأنا أنظر إليك عن قرب أكثر، ألاحظ بعض الشبه في عينيك، وشكلك، ولكن ليس بلون العينين، فعيناها لوزيتان بينما عيناك خضراوان، ولكن كلاهما على شكل اللوز.

ولم تكن ساندرا معتادة على الإطراء، لذا لم تكن واثقة كيف تتعامل مع إطرائه إلى أن أدركت أنه ليس موجهاً لها بل إلى شقيقتها الجميلة. فابتسمت وقالت:

ـ لسنا متشابهتان بالمنظر أو بالطبع. وأعتقد أن الفرق يكمن في العمر. باربرا أكبر مني بأربعة عشر سنة. وكنت في الثالثة من عمري عندما تركت المنزل. لذا بالكاد أعرفها تماماً. أعيش معها منذ ستة أشهر فقط ولا زلت لا أعرفها تماماً. ويبدو أنني أثيرها لسبب لا أعرفه.

ـ ولماذا تعيشين معها إذاً؟

إنه لا يعلم لماذا. ولم تندهش لهذا. فباربرا دائماً تبقي أسرارها لنفسها حتى أمام من تحبّ. وقد تكون على علاقة مع هذا الرجل، ولكن هذا لا يعني أنها قريبة منه جداً. فمن الواضح أنها لم تخبره أن والدهما قد توفي، وأنها أخذت مهمة رعاية أختها الطفلة كي تحميها من الضياع في الشوارع. وقالت له:

ـ لم يكن لديّ مكان ألجأ إليه بعد أن توفي والدي. فالمنزل الذي كنا نعيش فيه مؤجر. وأنا رعيت والدي المريض لسنتين قبل أن يموت. ولم يكن لديّ وظيفة، لذا لم أستطع دفع الإيجار، إضافة إلى أن صاحب الملك كان يريد بيعه. فاقترحت عليّ باربرا أن أسكن

معها في لندن إلى أن استطيع الوقوف على قدمي.

واعتقدت أن هذه أول كذبة قالتها في حياتها. فباربرا لم تقترح شيئاً كهذا.. والحقيقة أن ساندرا كانت على حافة الإفلاس وتوسلت لباربرا كي تسكن معها.. والدها عانى الكثير خلال مرضه وساندرا كانت كبش الفداء معه، موته أحزنها، ولكن عندما واجهت الحقيقة، وجدت أن الأمر نعمة عليها. فلستين كانت تكافح الحياة مع والدها، وباربرا أدارت أذناً صماء لتوسلاتها لها للعون. وكما قالت يومها لساندرا، عندها مستقبل، وحياة، ومساعدة أب عجوز ليس جزءاً من هذه الحياة!

وتخلّت ساندرا عن جامعتها وعن آمالها للمستقبل بسبب أنانية اختها، ولكنها لم تشعر بالمرارة لهذا. قد تكون باربرا تملك منزلاً جميلاً وفخماً، ووظيفة رائعة تحبّها، والكثير من المال، إلا أن السعادة كانت بعيدة عنها، ولا زالت، الأخت القاسية المريرة التي تتذكرها ساندرا، من أيام زياراتها للمنزل الريفي المحاط بشرفات في «ساكسون» والتي كانت تقوم بها لأجل الواجب فقط. حتى أنها لم تبكي في جنازة أمها. وفسّر لها والدها هذا بأنه الغيرة. فخلال أربعة عشر سنة كانت تعامل كالطفل الوحيد للعائلة، ثم ولدت ساندرا في وقت متأخر من حياة والديها. أيام المراهقة الأولى في حياة أية فتاة أيام حاسمة، وشعرت باربرا بالغضب لتغير عاطفة أبويها الفجائية نحو المولود الجديد... وخزنت غضبها ثلاث سنوات ثم غادرت المنزل لتبحث عن الثروة، وفهمت ساندرا هذا وحاولت جهدها أن تكسب حب باربرا، ولكن دون جدوى، هذا الوضع لم يكن لها يد فيه. ولامت والديها لانحيازهما في الحب. كان من المفترض أن يدركا كيف كانت باربرا تشعر. ولكنهما خذلاها بشكل بائس.

ـ هل لديك وظيفة خلال النهار، أم وظيفة المقهى فقط؟

وأعادها السؤال إلى حاضرها، ونظرت إليه. وشعرت فجأة بوجوب الدفاع عن شقيقتها، على الرغم من كل شيء، فباربرا تهتم بهذا الرجل. وهو لا يبادلها هذا الشعور.

ـ كنت أظن أن عليك الاهتمام بشؤون شقيقتي أكثر من اهتمامك بما أفعله في الحياة.

وضاقت عيناه بالغضب. من الواضح أنه ليس معتاداً أن يكلمه الناس هكذا.

ـ لقد قلتي إن باربرا في المستشفى، ومهما كانت حالها، فهي دون شك تتلقى أفضل العناية. فهل يجب أن أكون قلقاً عليها؟

فسوته الباردة صدمتها، فقالت غاضبة:

ـ لقد اعتقدت فقط أن خدماتها المخلصة للشركة قد تستحق شيئاً، وقد تثير شيئاً من الاهتمام عندك. ولكن بعد قضائي هذا الوقت القصير برفقتك، توصلّت لإدراك أنك لا تملك ذرة من الإنسانية في جسدك!

ووقفت على قدميها، وهي تشعر بالغثيان لفكرة أن باربرا تهتم بهذا الرجل الفظيع. وتابعت:

ـ لقد حصلت على الاسطوانات الخمس يا سيد جايمس كوريللي، وأتمنى أن تكونوا أنتم الستة سعداء!

وحاولت التحرك، بيأس للخلاص من وجودها معه، ولكن ساقاها علقتا. فالطاولة الصغيرة علقت بشكل غامض بساقيها. والسبب حذاء جايمس. فصاحت:

ـ دعني أخرج من هنا! أنت تتصرف كالأطفال!

ـ اجلسي! لم أصرفك بعد.

الأمر البارد جعل الغضب يغلي في عروق ساندرا.

ـ تصرفني! ومن أنت لتصرفني؟

وركلت الطاولة بقوة، وفوجىء تماماً بهذه الحركة. وأجفل من الألم الذي أحس به في عظام ساقيه، فصّاح وهو يفرك ساقيه:

ـ يا الهي! أنت حقيرة!

ـ أنت تستحق هذا لعدم تعاطفك مع ما حدث لشقيقتي. وما تراه فيك لن أعرفه أبداً.

ووقف ليواجهها، ومرر يده في شعره. وقال:

ـ انظري... أنا آسف لما حصل لباربرا، ولكنني أحاول أن أكون واقعياً. ففي هذه اللحظات أنا مهتم أكثر بشركتي وبوظائف ألفين من الموظفين...

ـ لست أرى ما لهذا من علاقة ببعض الأسئلة العادية عن ماذا أعمل كي أعيش!

ـ لأن باربرا تركتني دون خدماتها في هذا المؤتمر. وسألتك ما هي الوظيفة التي تعملين بها لأنك لو كنت قادرة قليلاً على القيام ببعض الاختزال والطباعة فقد تساعديني. ولا أعتقد أنك تعرفين كيف تعملين على الكومبيوتر؟

وظهر ضباب أحمر خفيف أمام عيني ساندرا، وخرج صوتها بشهقة متقطعة:

ـ أتعني.. أتعني... أنك.. تريد مني أن آخذ مكان باربرا؟

ـ هذا أمر غير وارد.. لا أحد يستطيع ملء مكان باربرا.. ولكن...

ـ أنت محق تماماً! لا بد أنك جننت يا سيد كوريللي! فلن أساعدك ولو كنت تموت من العطش في الصحراء، وكنت أنا كأس ماء. فأنت لا تحتمل، هل تعلم هذا؟ لا تحتمل! شقيقتي راقدة مصابة في

المستشفى وقلقة عليك، وأنت لا تهتم بها. لقد اصطدمت بدراجة نارية لأنها كانت مرهقة بعد العمل طوال الليل باشيائك... السخيفة... أوه... أنت...

وأسرعت خارجة من الجناح. وهذه المرة لم يمنعها. ومشت كالعمياء عبر الممر عائدة إلى غرفتها. ودخلت رأساً الى الحمام تغسل وجهها بالماء البارد. لقد أغضبها لدرجة أرادت أن تضربه.. ولو كانت رجلاً لفعلت! وجففت وجنتيها المحترقتين بمنشفة... كيف يكون رجل... جذاب لهذه الدرجة... مريع هكذا؟

ووجدته واقفاً قرب نافذة غرفتها عندما خرجت من الحمام. تفحص رسماتها ويقارنها بالمنظر في الخارج. وخفق قلبها وتسمّرت في منتصف غرفة النوم عندما شاهدته. ولم يلتفت نحوها، ولم يتكلم. بل وقف مستنداً إلى حافة النافذة، يتأمل برسماتها مفكراً.

ربطة عنقه كانت الآن محلولة قليلاً، وخصلة شعر سوداء على جبهته. وبدا وجهه مختلفاً، أرقّ قليلاً بطريقة ما، وكأنما روح القتال قد ذهبت عنه.

أول ما بدا لها أن تنتزع رسماتها من بين أصابعه وأن تأمره بمغادرة غرفتها. ولكن هذا سيكون تصرفاً طفولياً، وأحسّت بشعور غريب يسري في جسدها وغمرها بقوة جو من الدفء في الغرفة، شيء لم تستطع تفسيره ولكنها أحسّت به، في أعماقها.

باريس، هذا الفندق، هذه الغرفة، وهذا الرجل. وعضّت ساندرا على شفتها. لم تكن قد شعرت بمثل هذا الشعور من قبل، ولكن غريزتها الأنثوية جعلتها تعرف ما هو. إنه التوتر، توتر عاطفي جعل الهواء يبدو ثقيلاً وكثيفاً. ولكنه رجل مادي ومتسلط، وهي بالكاد امرأة. ليس في العمر، ولكن في التجربة في الحياة، ومع ذلك استطاعت ان تدرك ما هو الجو السائد الآن.

واستدار نحوها وتعلّقت عيناه بعينيها لمدة بدت وكأنها الأبد. ثم تكلم بصوت أجش، قائلاً ببطء:

ـ لقد جعلتيني أحسّ بالحياة.

وشحن الجو بشحنات قوية من التوتر جعلت ساقيّ ساندرا تكادان تنهاران من تحتها، ولم تستطع تحمّل نظرته، فأبعدت عينيها عنه. فقد رأت في عينيه الرماديتين الناعمتين قابلية للسقوط، قابلية لم تكن لتصدّقها حول هذا الرجل المحنك. ولم تكن ترغب في أن ترى المزيد. وتحركت نحو طاولة الزينة وحركت المصباح قليلاً:

ـ هل جعلتك تحسّ هكذا لأنني صرخت بك، وأجبتك؟

ـ من الممكن.

ـ وأنت لست معتاداً على هذا.. أليس كذلك؟ فأنت تطلب الاحترام والخضوع.

ـ أنا لا اطلبهما، بل مركزي يفرضهما.

ـ وهل من المفترض أن أشعر بالأسف عليك؟

ورفعت رأسها تنظر اليه، لا... ليس الشفقة ما يطلب، بل أنها قرأت شيئاً آخراً في عينيه. إنه بحاجة إلى شيء خطر. ثم، ذهبت هذه النظرة وعادت تلك النظرة المقاومة. وقال ببرود:

ـ لنتوقف عن هذا الجدل قبل أن يخرج الأمر من يدنا..

ووضع الرسمات من يده وتقدّم نحوها:

ـ كنت جاداً حول مساعدتك لي. ولّبي نفسك قليلاً..

ومدّ يده لينتزع الرباط من شعرها.

ـ وافعلي شيئاً لشعرك وسوف تبدين محترمة جداً.

ولم تردّ على إهانته، بل تراجعت. إنه يتمتع بإثارتها، حسناً انها ليست هنا لتسعده، بأية طريقة. فقالت له بهدوء:

ـ لا أستطيع مساعدتك بشيء سيد كوريللي. أنا لست سكرتيرة،

ولست وسيلة تعويض، لذا تستطيع أن تشتكي لشخص آخر. لقد حصلت على ما تريده للمؤتمر غداً... وهذا أكثر ما أستطيع أن أخدمك به.

وتوجهت نحو السرير والتقطت رسماتها، وحقيبتها، لم تكن حتى قد فتحتها بعد، وها هي الآن ستعود من حيث أتت.. لقد انتهت مهمتها. وسألها بهدوء:

ـ ماذا تفعلين؟

ـ مسافرة بالطبع. لقد أوصلت لك الاسطوانات، وأنا الآن ذاهبة.

قالت هذا بطريقة هادئة وكأنها لا تهتم أبداً برؤيته ثانية. لقد أغاظها، وأغاظها، ولكنه أثارها أيضاً. وأحسّت بالارتعاد. ثم أغلقت عينيه وكأنها تريد أن ترى الدنيا بشكل أوضح. ماذا يحدث لها؟

ـ لن تجدي طائرة في مثل هذه الساعة.

ـ ومن قال شيئاً عن الطائرة؟ أنا خارجة من فندق «كليبر مونت» ليس من باريس. سأجد لي فندقاً آخر.

ورفعت حقيبتها لتعلّقها في كتفها، متمنية أن تبدو بأنها فعلاً تعتمد على نفسها، ولكنها سراً كانت ترتجف من فكرة التجول في الشوارع في الظلام لتبحث عن فندق تستطيع تحمل أجرته.

ـ وإلى أين تظنين أنك قد تصلين وأنت دون مال؟

ورمت الحقيبة ثانية إلى الأرض، ووضعت يديها على خصرها وقالت متحدية:

ـ أستطيع تدبير أمري... شكراً لك كثيراً.

لديها بطاقة اعتماد، وقليل من المال. وهذا يكفي.

ـ وماذا عن بطاقة سفرك للعودة؟

الطريقة التي كان يلقي بها هذه الاسئلة كانت تشير إلى أنه ليس قلقاً عليها بل على مصاريف الشركة. فابتسمت له بشحوب:

ـ لديّ بطاقة سفر للعودة. وقبل أن تقول شيئاً آخر، لقد دفعت باربرا ثمنها من حسابها الخاص، وليس من حساب الشركة. لذا إذا كان لديك أية أفكار غريبة حول مصادرة التذكرة، فانسى الأمر!

يا للسماء... ماذا تقول؟ إنها تشير إلى أنه يحاول منعها من مغادرة الفندق، وهذا أمر جنوني بالطبع.

ـ إذاً أنت تنوين العودة إلى لندن غداً؟

وبدا في صوته أن شكوكه ليست من دون سبب. وبدا أيضاً واثقاً بنفسه لدرجة خطيرة. وكان يستند إلى طاولة الزينة ويداه في جيوبه، وإحدى ساقيه مرفوعة فوق الأخرى.

ـ غداً بعد الظهر.

ـ وهل لديك جواز سفر؟

وتنهدت بقلق. إنه يسأل أسئلة غريبة. وانحنت لتلتقط حقيبتها.

ـ وكيف تظن أنني وصلت إلى هنا لو لم يكن معي...؟

وسقطت الحقيبة من يدها وهي تطلق آهة حزينة. بالطبع! إنها تدرك الآن كل شيء:

ـ جواز سفري، ومالي، كل شيء في حقيبة باربرا، أليس كذلك؟

لقد نسيت أنها وضعت كل شيء هناك للمحافظة عليه. لقد جعلتها باربرا تعد بأن تحرس الحقيبة بحياتها. وبما أن الحقيبة كانت على صدرها طوال الرحلة فإن أفضل مكان لوضع أغراضها القيمة هو تلك الحقيبة. وهي الآن في مكان آمن أكثر. في جارور طاولة جايمس كوريللي المقفل.

ـ ستعيدها إليّ... أليس كذلك؟

ـ ليس لدي النية أن أفعل.

ـ ولكن لماذا؟

وبحثت في وجهه عن أي أثر لجواب.. هل هو حقاً جادٌ حول مساعدتها له خلال المؤتمر؟ وهل هي مخطئة حول حاجته الأخرى التي لاحظتها في عينيه؟

ولم يكن يبدو عليه أن سؤالها يحتاج لردّ، فوقف حيث هو يتطلع إليها. وهزت كتفيها دون اكتراث وقالت:

ـ ليست هذه مشكلة حقاً.. سأذهب إلى القنصل البريطاني وأقول له إنك سرقت جواز سفري وأشيائي. وسوف يستجوبونك في وقت قصير.

ـ القنصلية البريطانية بعيدة من هنا، والمطر ينهمر بقوة في الخارج.

ـ سأذهب بالمترو... لديّ بعض المال...

لم يكن لديها شيء، فكل ما تملك موجود في تلك الحقيبة...

وبدأ يتحرك باتجاهها، وفكّرت بأنه سيصبح بعد لحظات على مرمى يدها، وسوف تضربه. وجمعت قبضتيها الصغيرتين إلى جانبها.. لا لن تفعل.. لن تستطيع.. حتى الصفعة قد تكون تلامساً جسدياً معه، ويجب أن تتجنب هذا بأي ثمن. وقالت بيأس:

ـ وأين سيقودنا هذا؟

وملأت وجهه ابتسامة ساخرة:

ـ أنوي توظيفك لفترة أسبوع تقريباً.

وامتدت يده لتلتقط خصلة من شعرها الأشقر بين أصابعه:

ـ ورتّبي هذا. هل لديك رداء مناسب معك؟ لا يهم إذا لم يكن لديك. أنا واثق أننا نستطيع تحضير شيء ما لك... أحتاج إليك خلال انعقاد هذا المؤتمر. وليس لديك أي خيار سوى القبول بشروطي.

ـ شروطك. . . . ؟

ـ سأدفع لك لقاء عملك. . . وبسخاء. وستستمر إقامتك هنا في الفندق. وسيكون أمامك وقت فراغ كاف لمتابعة هوايتك. وعندما تنتهي خدماتك لي سأعيد لك جواز سفرك، وأتأكد من عودتك سالمة إلى الوطن.

ـ أنا. . أنا لن أكون مفيدة لك سيد كوريللي. لا أستطيع الطباعة. . . ولا. . . أستطيع. . .

ـ تستطيعين فعل الكثير لي يا ساندرا كايسي.

كان قريباً منها حتى أنها أحسّت بدفئه، ورائحته. وظنّت أنه على وشك أن يعانقها، وتحرّك الخوف في داخلها، لو أنه فعل هذا فستضيع. وتعرف هذا. لكنه ابتعد عنها فجأة، حتى أحسّت بخيبة باردة.

ـ ولكن قبل أن نضع الختم على اتفاقنا أودّ أن أعتذر لك.

ووقف عند النافذة ثانية، ودار رأس ساندرا، ختم الاتفاق. . الاعتذار! وقالت بضعف:

ـ ماذا تعني؟

وجلست على كرسي طاولة الزينة، قدماها لم تعودا قادرتان على حملها. هل يمكن أن يكون هذا الضعف بسبب تحملها السفر؟ وأتى اعتذاره رقيقاً، متطايراً في الهواء:

ـ أنا آسف لأنني ظهرت لك بارداً ومن دون شعور. أنا أهتم كثيراً بباربرا وأعرفها جيداً، وأعرف أن ما حدث لها يؤلمها، لقد كانت مفيدة لي كثيراً خلال الأشهر الماضية. وأنا فعلاً مقدّر لها ما فعلته للشركة. وقد لا تكون أخبرتك أن الشركة تعاني بعض المتاعب. وهذا يعني تحمّل الكثير من العمل والتوتر. وهذا قد أثّر على أعصابي

وأنا آسف إذا كنت أزعجتك. لقد كنت أنتظرها هي وليس أنت. وصُدمت بأن أجد فتاة اخرى صغيرة في السن، مرتدية الجينز وكنزة أوسع من قياسها بكثير، تقدّم نفسها على أنها شقيقة سكرتيرتي.

ـ أنا فعلاً شقيقتها، ولست صغيرة. . . فأنا في الثانية والعشرين!

إذاً. . تصرّفي هكذا واستمعي إليّ. شكراً لك لإحضارك الحقيبة. . إنها تحتوي أشياء هامة جداً لي. فأنا على وشك إطلاق عقار جديد سوف يجعلنا في وضع أقوى للتفوق على شركة «يونيمت» وأنا واثق بأنك ستكونين ذات فائدة لي. .

لست أدري كيف. . حقاً لست أدري. لقد قلت لك إنني لست سكرتيرة. وأنا لست مثل باربرا.

ـ لا. . أنت لست باربرا.

ـ أنت لست معتاداً على الاعتذار. . . أليس كذلك؟

ـ لست مضطراً للاعتذار عادة.

ـ ولكنك كنت فظاً معي.

ـ اعلم. . لم يكن من داعٍ لذلك. هل ستبقين وتساعدينني؟

كم هو غريب! في لحظة يبدو كالغول. . وفي التالية. . . باربرا لم تكن تستطيع أن تقف في وجهه، فلديه قدرة على الإقناع، ولكن كما واقفا معاً، هي ليست كباربرا، ولا يمكن أن توافق معه بكل طواعية ويهاجني على أنغامه، على الرغم من كل المغريات، وعليها أن تكون حازمة.

ـ أنا أعمل في معرض للفنون خلال النهار وفي مقهى أثناء الليل، ومن الصعب أن أساعدك في مجال الأدوية. . اليس كذلك؟

نظر إليها وابتسم.

ـ هذا يبدو لي مناسباً تماماً.

ـ وماذا تعني؟

ـ أنت جميلة، وتتكلمين الفرنسية بطلاقة، وتعرفين كل شيء عن الفنون، وأدب الضيافة..

ـ ولكن لا شيء عن شركتك.

ـ لا حاجة لأن تعرفي شيئاً، فأنا أريد مضيفة، وليس وكيلة مبيعات.

ـ مضيفة! وماذا يستلزم هذا العمل بالضبط؟ الأناقة المتزمتة، وثياب ضيقة، وسوط؟

وأمام دهشتها، أطلق ضحكة عالية.

ـ يبدو هذا مثيراً للاهتمام ولكنه لا يناسبني. المؤتمرات الدراسية هذه ليست كلها محاضرات واصطلاحات طبية. فهناك الكثير من النشاطات الاجتماعية.. وهذه طريقة للحصول على الصفقات: دعوة الزبائن للعشاء، وإجراء المشاورات، وإقناعهم بأنهم لا يستطيعون الاستغناء عن منتوجاتنا.

ـ ولكنني لست أدري أين هو المكان المناسب لي في هذا.

ـ أنا بحاجة إلى امرأة جذابة بقربي لإضفاء جو من الراحة بعد ضغوطات المحاضرات. والمستشارون عادة يأتون بزوجاتهم معهم وفي الأمسيات تقام حفلات الكوكتيل والعشاء، وأنا بحاجة لمن...

ـ لمن يقدم المقبلات.

ابتسامته الغامضة كادت أن تصبح عادة عنده، فقال:

ـ شيء من هذا القبيل...

إنه يحاول أن يجعل الأمر يبدو رائعاً... حفلات كوكتيل وعشاء مع المجموعات الطبية... ولكن في الحقيقة عملها منحصرٌ في تقديم المقبلات والمشروبات، أي ساقية محترمة.

وهل سيحتفظ حقاً بمالها وجواز سفرها؟ إن هذا لا يبعد كثيراً عن كونه ابتزاز.. ومع ذلك فإن عرض إقامتها هنا في هذا الفندق، مع

كل وسائل الراحة، وأوقات الفراغ لتكتشف باريس، كان عرضاً مغرياً. لو أنه أكبر سناً وبرأس اصلع لكان من المؤكد أن توافق، ولكنه ليس هكذا. إنه هذا الرجل الواقف الى جانبها، جايمس كوريللي، الوسيم الجميل. وابتسمت بقلق. كم أنها تفكر ببلاهة وسذاجة.. إنه على الأرجح غير مهتم بأكثر من توظيفها. فلديه باربرا... وعلى الرغم من أنها تعرف قدر نفسها إلا أنها تعلم تماماً أن باربرا هي الصنف المناسب تماماً لجايمس كوريللي.

ـ سأفكر بعرضك قليلاً سيد كوريللي. ولكن إذا لم أوافق ستعطيني أغراضي.. أليس كذلك؟

ـ لقد قلت لك إنني لا أنوي أن أفعل هذا. ماذا أفعل أو أقول لاقنعك بالعكس؟.

واحتّت بالصدمة للتعبير الفجائي الذي ظهر على وجهه، ومد أصبعه ليضعه تحت ذقنها ويرفعه. ثم انزلقت ذراعاه حول خصرها وسحبها برفق نحوه، بقوة ولطف وكأنما يحاذر إيلامها. وشعرت بالضعف والدوار، وهي تحس بضغطه الناعم عليها. وتسارعت دقات قلبها وهو يبتعد قليلاً عنها.. ثم تمتم:

ـ سأعطيك فرصة عشرين دقيقة.

ـ عشرين دقيقة لماذا؟

ـ كم أنت طريفة! سأعطيك عشرين دقيقة لتتحضري للعشاء. هل لديك ثياب غير هذه؟

هزت رأسها بالإيجاب.

ـ جيد، سألتقيك عند قسم الاستقبال بعد عشرين دقيقة.

وتركها واقفة عند النافذة، ولم تتحرك إلى أن سمعت صوت إقفال الباب. ثم توجهت وهي تشعر بالدوار إلى الحمام ووقفت تنظر إلى

وجهها الأحمر. لقد ظنته بارداً، حيوان دون شعور، ولكن عناقه الحميم كان صدمة لـهـا، بدفء، وعاطفة، ليس برغبة أو حاجة، بل بدفء، وكأنه تقريباً لا يريد أن يخيفها حتى لا تبتعد عنه. ومع ذلك كانت خائفة، خائفة منه، من باربرا، من نفسها... فالرجل الذي يعانق هكذا...

☆ ☆ ☆

٣ ـ صرخة في الليل

لماذا تحضّر نفسها للعشاء مع جايمس؟ سألت ساندرا نفسها عدة مرات وهي تتحرك بسرعة، تغسل شعرها، وتغيّر ثيابها إلى أن أصبحت مليئة بالحيوية.. ولكن أليست تلعب بالنار؟ التفكير بشقيقتها هو ما جعلها تفكر هكذا، فهي ليست شبيهة بباربرا وخبرتها. وعناق جايمس كوريللي لها ودعوته للعشاء ما هو سوى امتداد لاعتذاره. فقد أساء معاملتها وها هو يعوّض عليها. وما أحسّت به من مشاعر قبل وقت قصير ما هو إلا نتيجة مخيلتها التي عملت وقتاً إضافياً..

وعلى كل.. لا بأس، وتابعت تجفيف شعرها الذهبي، بإمكانها أن تحلم قليلاً، ألا تستطيع؟ بإمكانها أن تتخيل أنه طلب منها السهر معه لأنه يرغب في هذا، فقد اعترف لها أنها جعلته يحسّ بالحياة. وربما يستمر في هذه المعاملة الرقيقة خلال العشاء. وأن يتجاوب مع شخص لا يعتبره نقمة من الله على العالم كما تفعل باربرا. وسيكون هذا نوع من التغيير بالنسبة له.

وكانت سعيدة لبعد نظرها في أن تجلب معها ثوباً مناسباً.. فستان أسود من الصوف الرائع، دهشت باربرا عندما اشترته.

روايتي

واستعرضت ساندرا نفسها أمام المرآة وهي تفكر بأن شقيقتها لن يعجبها ما أمامها لو رأتها الآن. شعرها الطويل الذهبي اللامع ينسدل بإغراء حول وجهها البيضاوي، شفتاها المايئتان ملونتان بلون الخوخ الفاتح، والعينين الخضراوين المحاطتين بالرموش الداكنة. شعر ذهبي ورموش داكنة سوداء، مزحة من الطبيعة طالما أزعجت ساندرا.. فالناس كانوا يظنون بأنها قد غيّرت لون أحديهما. وجايمس كوريللي يظن بأن عينيها فاتنتان.

والفستان... حسناً إنه ليس ما تلبسه عادة. فقد انسدل على جسدها النحيل بالتفاف كامل، حذاءها العالي الكعبين جعل ساقيها تبدوان طويلتان إلى ما لا نهاية، ولكن ما عدا ذلك كان عليها أن تعترف أنها كاملة!

ولم تشاهد جايمس كوريللي قرب مكتب الاستقبال وتساءلت ما اذا كان قد أعاد التفكير، او أنه نسي الأمر. وجلست على حافة مقعد كبير من الجلد الخمري وانتظرت، مبتسمة لنفسها، وهي تفكر بأنها منذ ستة أشهر ماضية، وقبل أن تنتقل إلى لندن، كانت ستهرب من نظرات الإعجاب التي يرميها بها الزوار المتعددي الجنسيات في الفندق. وقبل العمل في المعرض الفني، والمقهى الليلي لم تكن سوى ريفية جبانة. ولكن الحياة في لندن، قد غيّرت جبنها الرجعي في زمن قصير. ومع أنها لا زالت بعيدة عن ثقة باربرا بنفسها، ولكن نظرات الإعجاب من الرجال لم تكن تزعجها. وتعلّمت أن تتجاوز طلبات المواعيد بابتسامة جميلة ومزحة خفيفة لا تترك أي إنسان يشعر بالغضب.

وفُتحت أبواب المصعد، وشاهدته، ووقف تأدباً ليسمح لسيدة مسنّة أن تخرج قبله، وابتسمت له المرأة وهي تنظر إليه بذهول واعجاب، وفهمت ساندرا لماذا... فهو يبدو رائعاً جداً في بذلة السهرة

السوداء. ومعطفه الأسود، المتدلي فوق كتفيه دون ان يرتديه. إنه كالكونت دراكولا مصاص الدماء، وأحست بوخزة في عنقها وهي تفكر هكذا.

وشكرت الله على أنها أحضرت معها هذا الفستان الأسود، والحذاء الأنيق الضيق الذي كان يضغط على أطراف أصابعها، ولكن هذا يستحق التحمل لمجرد أن تكون برفقته، وهي لن تخذله أبداً.

ووقفت مرشاقة على قدميها وانتظرت إلى أن شاهدها، ثم اتجه نحوها. ورسمت ابتسامة تحية على وجهها المحمّر وانتظرت...

وتمتمت من بين أسنانها «أوه.. لا» فبدون نظارته لم يرها، وسار متجاوزاً لها وكأنها قطعة من الأثاث. ونادته بما يشبه الهمس:

ـ سيد كوريللي! سيد كوريللي! لم تتعرّف إليّ... أليس كذلك...

وأمسكت بكم سترته وعندما التفت ابتسمت ابتسامة عريضة. ووجهه اتخذ صورة كاملة من الإعجاب، ثم قال وهو يبتسم:

ـ أنت محقة، أنا لم أتعرّف عليك...

ـ لكنت تعرّفت عليّ بسهولة لو أنك تضع نظارتك، ليس هناك داعي للخجل من لبس النظارة، وأنت تعلم هذا.

وسارت معه وقد أخذ بذراعها ليقودها إلى أمام الفندق.

ـ النظارة من طراز قديم، وأنا لا ألبسها سوى للقراءة. وأنا لم أتعرّف عليك لأنني كنت أفتش عن فتاة هزيلة صغيرة.. لا عن...

ونظر إليها نظرة جانبية، وكأنه لا يزال غير واثق من أن عيناه لا تخدعانه.

ـ عن ماذا؟

إنها متشوقة لسماع الإطراء الذي كانت واثقة أنه على طرف لسانه:

ـ لا شيء... لا أستطيع أن أفكر بتعبير مناسب أصف به هذا التغيير.

ـ ما قولك بكلمة مذهل؟

ـ أنت لست متواضعة كثيراً.. أليس كذلك؟

ـ ليس عندما أكون مدركة أن التحول هو أعجوبة صغيرة..

لقد كنت أبدو بحالة سيئة عندما وصلت.. ولقد فعلت الكثير لأجلك لأبرهن عن أسفي.

ـ شكراً لك.

ـ أين سنذهب؟

ـ إلى مطعم صغير وحميم أعرفه قرب النهر.

ـ أوه.. ظننت أننا سنتعشى في مطعم الفندق.

لم تكن تتوقع هذا! مطعم حميم! ولكن مطعم الفندق سيكون آمن لها بالطبع!

وغرقت ساندرا في المقعد الوثير للسيارة الفاخرة، وأخذت تحدق خارج النافذة في الظلام، إلى الشوارع التي تنمو على جانبيها الاشجار، وهما يغادران قلب المدينة. وبدأت فكرة بقائها لمساعدته تشحب فجأة. وشكّت في مقدرتها على إمضاء أول أمسية معه دون القيام بغلطة خطيرة. وارتعدت ساندرا متمنية لو أنها لم تأتي..

ـ هل تشعرين بالبرد.

ولفّ ركبتيها بقماش مضلع.. فتمتمت:

ـ شكراً لك. لماذا تريدني أن أساعدك في اجتماعياتك؟ من الممكن أن أخذلك، وأنت تعرف هذا، ممكن أن أتصرف بشكل غير لائق، وأن تبدر مني ملاحظات في أوقات غير مناسبة، وقد أفقد السيطرة على نفسي، وقد...

ـ وقد لا تفعلين أي شيء من هذا كله.

ـ وهل أنت مستعد لهذه المخاطرة؟

ـ لم أكن لأطلب منك البقاء لولا ثقتي بمقدرتك على تدبر الأمر. أنت فتاة جميلة جداً ووذكية يا ساندرا، فلا تقللي من قدر نفسك.

لقد استخدم اسمها الأول، وكان صداه كأجراس الفرح في اذنيها، ولم تستطع النظر إليه. وعانت من عذاب قربه منها وجسدها متوتر لدرجة الانكسار. وتمنت لو أنها تعود إلى الفندق لتتناول سندويشاً في غرفتها.. فهذه الليلة.. غلطة.. فهو ناعم جداً أكثر مما تتحمل.

ـ لست أقلل من قدر نفسي سيد كوريللي ولكنني أعتقد أنك لا تعرف ماذا تفعل.

ـ انا اعرف «بالضبط» ماذا أفعل.

في لهجته حدة ما.. جعلت أعصاب ساندرا تتوتر. إنه دائماً يحصل على ما يريد، وهذا أمر أكيد... ولكن ماذا يريد هذه المرة؟

ـ لا أستطيع البقاء...

في تلك اللحظات علمت أن بقاءها سيكون خطراً.

ـ هناك مليون سبب لماذا لا أستطيع...

ـ حسناً، أخشى أن لا يكون لديّ الوقت الكافي لأسمعها كلها.

وتوقفت السيارة بهما خارج مطعم عند حافة النهر. وفتح السائق الباب لها، وخرجت. وأحست برعدة من البرد الخفيف في الجو. إضافة إلى أنها كانت تتخوف من هذه الليلة. وتساءلت عما إذا كان صداع مزعوم قد ينجح، ولكن كان الوقت قد فات وصرف جايمس كوريللي السائق، وانطلقت السيارة مبتعدة.

المطعم كان دافئاً، ورومانسياً من غير تكلّف. الأضواء خفيفة، والموسيقى ناعمة، واستقبلتهما رائحة الطعام الشهي، ورائحة الورود في منتصف الطاولة أمامهما. كان المطعم مزدحماً، ورافقهما الخادم

إلى مكان منعزل حُجز لهما. وحشرت ساندرا نفسها في الزاوية، ولم تعد تتمنى أن تكون في الفندق تتناول السندويشات، بل أن تحدث لها معجزة تعيدها فجأة إلى لندن بلمحة عين.

وابتسم لها جايمس عبر الطاولة وقال:

ـ لا تنظري هكذا كالمذهولة.

واجابته بابتسامة، وحاولت أن تسترخي لأن عقلها السليم كان يقول لها بأنها لن تستطيع فعل شيء حول هذا الوضع الذي سمحت لنفسها أن تنقاد إليه بسهولة. ولكن.. من المثير الخروج مع هذا الرجل.

فقد استدارت رؤوس كل النساء عندما دخل جايمس كوريللي إلى المطعم. ولم تكن ساندرا متأكدة كيف ستتصرف، أترفع ذقنها فخورة أم تنقبض وكأنها ريفية جبانة كما كانت من قبل.

ورفعت ذقنها إلى الأعلى بكل فخر... ولماذا لا؟. فلن تـرافق رجلاً مميزاً كهذا إلى مطعم في كل يوم.

وقالت له:

ـ الرسومات على هذه الجدران هي من الفن الحقيقي وليست النوع الرخيص.

فابتسم، وكأنه أحسّ بأنها تحاول جذبه للمحادثة:

ـ وهل يروقك هذا النوع من الديكور؟

وهزّت ساندرا رأسها، ثم تفحصت لائحة الطعام وقالت:

ـ أحبّها ولكن لا لأعيش معها. فعندما سيكون لي منزل خاص بي سأملأه بالزهور، وأعلّق رسومات لمنطقة البحر المتوسط على جدران صفراء، وأسترخي على مقاعد ذات أغطية فضفاضة.

وأقفلت لائحة الطعام وقالت:

ـ سأتناول مرق اللحم مع الخضار وبعده لحم الحمل بالبندق.

ـ سأنضمّ معك في الحساء.

وضحكت ساندرا ثم عضت شفتها، لأن جايمس لم ينتبه لما قال ثم ضحك بدوره وقال:

ـ سأصلح الجملة هل يمكن؟ سأتناول نفس نوع الحساء الذي ستتناوله يتبعه دجاج روسيني.

ـ وما هذا؟

وتفحص جايمس عينيها المتسائلتين بتعجب قبل أن يردّ:

ـ كم أنت مختلفة عن باربرا. فهي لن تسأل مثل هذا السؤال أبداً.

وفكرت ساندرا بندم: إنها غلطة من الأساس القبول بدعوته لتناول الطعام. فهي غير لبقة ومرتبكة بينما باربرا محنكة، كم يا ترى عدد المطاعم الحميمة مثل هذا رافقها إليها؟

ـ باربرا لا تسأل.. لأنها تعرف.

ـ ربما ولكن كبرياءها يمنعها من السؤال إذا كانت لا تعرف، ولهذا أنا مختلفة جداً عنها.

ـ تعني أنني من دون كبرياء...

وأطبقت يده على يدها بطريقة مطمئنة، فشعرت بنار الإحراج والغضب تنطفىء.

ـ أنا لم أقل شيئاً من هذا. ما أحاول قوله إنني أجدك صادقة. فقد لم تعرفي ما هو نوع الطعام، ولهذا سألت بكل بساطة.

ـ هذه قلة لياقة.

ـ حسناً إنها قلة لياقة، وأنا أحب هذا.

ولاحظت ومضة الدعابة في عينيه فارتاحت قليلاً وقالت بإصرار:

ـ إذاً ما هو؟

ولم يعد مهماً لها أن تعرف، ليس وقلبها ينعصر في صدرها هكذا حتى لا تكاد تتنفس. لمسته دافئة حريرية، وعيناه ساحرتان فوق

عينيها. وشدت قبضتيها معاً بقوة لتبعد الأفكار عنها، الأفكار عنه وعن شقيقتها.

ـ روسيني.. والطاهي الفرنسي الشهير أوغست اسكوفير كانا صديقين واخترع الطاهي هذه الأكلة على شرف صديقه روسيني. إنه صدور الدجاج، مع البانيه ونوع من الصلصة.. هل ترغبين في تغيير طلبك؟

فابتسمت وهزت رأسها:

ـ يبدو لذيذاً ولكنني سأبقى على لحم الحمل.

ـ إذاً بإمكانك تذوقه في المرة القادمة.

هل سيكون هناك مرة قادمة.. أم أن هذا مجرد كلام يقوله الناس لبعضهم في مثل هذه المناسبات؟ حديث فارغ لا يعني شيئاً. وحدقت به، ولخيبتها كان يراقب الناس الخارجين من المطعم. وبدا مسترخياً هذه الأمسية، كان من الممكن لساندرا أن تطري نفسها على أنها السبب بهذا الاسترخاء، ولكن الأكثر احتمالاً هو أنه مرتاح بكل بساطة لوصول اسطوانات الكومبيوتر في الوقت المناسب للمؤتمر.

وعاد للنظر إليها، وابتسما معاً.. وقال لها:

ـ حدّثيني أكثر عن نفسك.

أوه.. هذا فظيع.. أكثر مما توقعت ساندرا. لقد كانا متشددين ورسميين مع بعضهما وباربرا كأنها هوة بينهما. فكيف لها أن تسترخي وتتمتع بالأمسية وهي تعلم أنه لولا تدخل القدر فإن شقيقتها هي التي ستكون جالسة الآن معه؟

وهزت كتفيها، وحاولت جاهدة أن تستفيد من غلطة مريعة:

ـ أنت تعلم تقريباً كل شيء عني.. أبيع الرسومات في النهار، والقهوة والمشروبات في الليل.

ـ هل لديك شاب صديق؟

فابتسمت ساندرا.

ـ يكاد يكون لديّ وقت فراغ.. أليس كذلك؟

ـ لماذا ترهقين نفسك بهذه القساوة؟

ـ لقد اعتنيت بوالدي لسنتين. وكنت أحبه كثيراً، ولكن السنتين شعرت بأنهما عشرة. وأنا أحاول التعويض عن ذلك الوقت الضائع. وأحاول معرفة الحياة، ومعرفة نفسي..

ـ وهل أنت بحاجة لوظيفتين لتحققي هذا؟

ـ أريد أيضاً استقلاليتي عن باربرا..

وتساءلت في نفسها عما إذا كان عليها أن تقول هذا في مثل هذه الظروف، وخاصة أن باربرا وهذا الرجل... لا... لا تريد التفكير بالموضوع. وتابعت:

ـ لقد كنت تلميذة فنون في المدرسة قبل أن يمرض والدي، ولكني لم أكمل دراستي. ولم أكن مدربة على عمل محدد، ولذا فكرت أن أجيء إلى لندن حيث كل شيء ممكن الحدوث.. ولكن لم يحدث شيء. حاولت أن أدخل مجال الرسم التجاري، إلا أنني لم أجد أحداً في هذا المجال مستعد للمخاطرة مع شخص غير مدرب وغير كفؤ. وهكذا قبلت بوظيفتين لأكسب ما يكفي لتأمين مكان خاص بي، شقة صغيرة تصلح أن تكون مرسماً، أستطيع أن أرسم، وأفكر، وأحاول ان أصنع لنفسي حياة جديدة.

ـ أستطيع فهم هذا.

ـ حقاً تستطيع؟

ولم تصدق هذا. هذا الرجل بثرائه وسلطته لا يمكن له أن يفهم بكل بساطة.. وأجابها:

ـ لقد تخليت عن هوايتي في سبيل والدي.

ـ هوايتك؟ ماذا تعني؟

ـ إنها موهبة مهنية أكثر منها هواية. لقد كنت طبيب صحة عامة.

ـ كنت! أتعني أنك مُنعت من العمل؟

وفكّرت بماذا يمكن أن يكون قد فعل ليمنع من مزاولة مهنة الطب... ولكنه ضحك وأجابها:

ـ إن لك مخيلة رهيبة. لا... أنا لم أُمنع من العمل.. لقد تخليت عنه لأجل أعمال العائلة..

ـ تخليت عن كل التدريب والهواية، لتبيع الأدوية؟

ـ إنك تظهرين الأمر وكأنني أطرح بضاعتي في الشوارع.. والدي حدثت له جلطة قلبية ولم يعد قادراً على إدارة الشركة. وتخليت عن عملي لأجل عمله. بعض الأحيان عليك ان تقومي بمثل هذه التضحية لشخص تحبينه. لقد توفي السنة الماضية. وأصبحت حراً مثلك الآن.

منذ تلك اللحظة أصبحت الأمسية أسهل على ساندرا. فقد أراحها الحديث عن والدها مع شخص يستطيع فهم مشاعرها المختلطة ما بين عقدة الذنب والندم والخسارة. ومرّ الوقت بنعومة.

وأحسّت بأنها ناضجة، عندما، فيما بعد، وضع معطفه الكشمير حول كتفيها وهما يسيران على ضفاف «السين». وقالت لنفسها مداعبة: أنا مثل باربرا، أستطيع أن أحبه... وعبثت في رأسها فكرة خيالية بأنها حبيبته، إلى أن أصبحت الفكرة يائسة أكثر مما تستطيع التفكير.

ووضع ذراعه حول كتفيها وهو يقودها من حول حفرة موحلة على الطريق. وتجاوزا الحفرة، ولكن ذراع جايمس بقيت حول كتفيها، وتمنت ساندرا أن يتوقف بها الزمن.

وسألها جايمس عندما وقفا عند الجسر ليحدّقا في النهر:

ـ هل أنت تعبة؟

النجوم، والقمر، ومصابيح الشارع كانت تنعكس ملتمعة فوق المياه. واستوعبت ساندرا تفاصيل المشهد لتستعيد تذكره فيما بعد وترسمه على «الكانفا»... قرب جايمس منها، دفء ذراعه حولها، لم تكونا بحاجة للانطباع في مخيلتها، فسوف يبقى هذا الإحساس معها إلى الأبد.

ـ لقد كنت تعبة... ولكن برودة هذا الليل جعلتني أشعر بالنشاط.

ـ ماذا يجول في فكرك؟

ربما يريد أن يذهب إلى مربع ليلي. وعادت بها الفكرة إلى أرض الأحلام من جديد. واشتدت قبضة ذراعه من حولها كي يستطيع النظر إلى ساعته، وقال:

ـ كان لديّ موعد... وقد فاتني الآن، ولكن قد تكون هناك فرصة...

ولم يكمل.. فقد صدرت عنه تأوهة من مكان ما في حنجرته، وهو ينظر إليها ملتفة في دفء معطفه، وعيناها تتطلعان إليه، فضيتان واسعتان تحت ضوء القمر. وقال لها بصوت أجش:

ـ أنت جميلة جداً...

هذه المرة لم يكن الأمر حلماً. بل حقيقة عذبة. لم تشعر بمثل ما أحست به لحظتها، في كل حياتها، ولم تختبر أبداً مثل هذه السعادة العميقة. وحاولت جاهدة أن تفهم معنى النظرة المنبعثة من عينيه السوداوين.

وأمسك بيدها في يده وهو يقول:

ـ هيا بنا، لو أسرعنا السير فسوف نصل في الوقت المناسب.

وحثّ السير بها عبر شبكة من الطرقات الضيقة، مبتعداً بها عن النهر، والقمر، والنجوم.

وأحسّت ساندرا أن شعور الضياع قد أصبح وشيكاً. فأطلقت ضحكة وهي تحاول أن تناسب خطواتها مع خطواته، وضحك بدوره ثم خفّف من سرعته. ولكنها كانت تبكي في أعماقها.. فعندما كانت بين ذراعيه لم تفكر بشقيقتها باربرا، ولكن فيما بعد، وهي تنظر إلى عينيه شاهدت انعكاس وجه شقيقتها. وهزها ضميرها هزة حادة.

ـ جايمس... أين نحن ذاهبان؟

استخدمت اسمه الأول للمرة الأولى، وبدا لها غريباً وهو يخرج من بين شفتيها. والتفت إليها فجأة ليقول:

ـ إلى معرض فنون... ستحبينه.. هل تمانعين؟

ـ في مثل هذا الوقت من الليل؟ ألن يكون مقفلاً؟

ـ باريس لا تقفل أبداً.

وتوقف عند زاوية شارع عريض، أنواره مشعة أكثر من الطرقات الضيقة التي غادراها.

ـ ساندرا... يبدو عليك التعب. أتفضلين أن أعود بك إلى الفندق، يمكن لهذه الزيارة أن تنتظر إلى الغد.

صوته فجأة أصبح مليئاً بالاهتمام. وهزّت رأسها قائلة:

ـ أريد رؤية كل شيء.

لو كانت صادقة مع نفسها لاعترفت بالإرهاق، ولكنها لم تكن تريد لهذه الليلة معه أن تنتهي. وابتسمت ثم تابعت كلامها:

ـ من الأفضل أن أرى الفن الفرنسي وأعرف ما هو.

وضغط على يدها، ثم قطعا الشارع إلى معرض «دولفين» وما إن دخلا عبر الأبواب الزجاجية حتى لفهما صمت وكأنه الضباب، وضاعت ساندرا. اللوحات المعروضة كانت شديدة الروعة، وشهقت من الإعجاب، وتجولت عيناها الخضراوان الفضوليتان على مجموعة من الزيتيات، والمائيات.

وجذبته من يده نحو لوحة مائية جميلة وقالت:

ـ تعال يا جايمس، هذه جميلة. تحس وكأنك قادر على شمّ رائحة الأرض والأشجار فيها.

وقف خلفها، ينظر من فوق كتفها، ويداه ممسكتان بأطراف كتفيها بقوة. وعندما تكلم أحسّت بأنفاسه الحارة فوق شعرها:

ـ إنها تماماً اللوحة التي تخيلت بأنها ستعجبك... إنها مثلك، رقيقة جميلة، وحساسة.

وجاء صوت من خلفهما يقول:

ـ جايمس... تأخرت ساعتين ولكنني كنت أعلم أنك ستحضر.

والتفتا، وعلى الفور رفع جايمس يديه عنها ليعانق فاتنة ترتدي ثوباً قرمزياً بلون العقيق من الحرير.

ـ سارة.. أنا آسف.. لقد تأخرنا.

وانحنى ليقبّل وجنتا المرأة الصغيرة المليئة بالحيوية، التي برقت عينيها له. ثم أظلمتا عندما قدّم لها ساندرا.

وحيّت لها ساندرا يدها بأدب وابتسمت، وعلى الرغم من أن سارة تقارب عمر باربرا إلا أنها كانت مليئة بحيوية فوارة تفتقر إليها شقيقتها. ولكن كان هناك شيء مشترك بينهما: انجذابهما إلى جايمس. وقالت سارة:

ـ سعيدة بلقائك.

ولكن ساندرا أحسّت بأنها لم تكن صادقة.

كانت سارة جميلة المظهر، شعرها أحمر ذهبي براق، وعطرها غالي الثمن. وفكّرت ساندرا أن هذا كله من أجل جايمس. فما هو الشيء الذي جعل عينيها الذهبيتين تضيئان ثم تخبوان فجأة لرؤية ساندرا إذاً؟ وأحسّت ساندرا بالقوة، هذه المرأة الغريبة كانت قلقة جداً. فقد كانت تتوقع جايمس لوحده. وأزاح الغضب هذا الشعور

بالقوة وأصبحت فجأة متضايقة من جايمس لتعريضها لهذا الموقف. وقالت لها سارة:

ـ ساندرا... أنا وجايمس لدينا بعض الأعمال لنتباحث بها.. ربما تحبين ان تتفرجي على الصور في آخر المعرض. قد تعجبك أكثر.

ولكن جايمس قال بحزم:

ـ أفضل أن أحصل على رأي ساندرا بما سأشتريه يا سارة.

وقفز قلب ساندرا من مكانه، ورغبت في ان تحتضنه لأجل هذا. ونظرت سارة إلى ساندرا، ثم استدارت لتدخل مكتباً صغيراً عند طرف المعرض. وتبعاها إلى المكتب، ولاحظت زجاجة شراب وكوبين على الطاولة. ومرة أخرى أحسّت بالغضب من جايمس، لم يكن يجب أن يأتي بها إلى هنا.

اللوحات الزيتية الثلاث التي اشتراها جايمس كانت جميلة. وتنفست ساندرا بقوة وقالت، وهي تحس بقلق سارة وهي تبحث عن كوب ثالث لها.

ـ إنها جميلة جداً يا جايمس.

وسألته سارة، وهي تصبّ الشراب باضطراب حتى أنها سكبته فوق الطاولة:

ـ لأي منزل تشتريها، لمنزل «اتين سكوير» ام «لمونت كارلو» ام...

عند هذه النقطة خرجت ساندرا من الغرفة الضيقة التي لا تسع سوى اثنين، وأخذت تتجول في مرسم آخر خلف المعرض الرئيسي. ونظرت بقرف إلى الصور التي قالت سارة بأنها ستعجبها.

وكانت تستطيع سماع صوت جايمس، والضحك من سارة. وشعرت بالوحدة بشكل لا يصدق. ثم سمعت جايمس يشكر سارة،

ولهجته تدلّ على أن عملهما معاً قد انتهى، وأن الوقت قد حان ليغادرا المعرض. ولكن سارة أصرّت على أن يتناولا كأساً آخر من الشراب، وخرجت نحو ساندرا لتملأ لها كأسها، وقالت:

ـ اعتقدت أن هذه اللوحات ستعجبك.

وأبعدت ساندرا كأسها، رافضة أن تملأه، وقال جايمس:

ـ من النظرة التي على وجه ساندرا لا أظن أنها أعجبت باللوحات.

ونظرت إليه ساندرا بغضب، إنها قادرة على الردّ بنفسها لو أنه أعطاها الفرصة.. وتابع جايمس إخبار سارة أن ساندرا تعمل في معرض للفنون في لندن، وأنها هي نفسها فنانة قديرة. وتذكرت ساندرا أوراق الرسم في غرفتها وأحسّت بالزهو لتذكر منظر جايمس وهو مستند الى النافذة، يتفحص رسماتها. ثم خفق قلبها بقوة. فعندما تقدمت أكثر داخل الغرفة، توقفت أمام لوحة «كانفا» مربعة، وقطبت، ثم شهقت شهقة دهشة:

ـ هذه من أعمال «لافارج».

وسألتها سارة بدهشة.

ـ وهل تعرفين أعماله؟

ـ أجل.. كنا زملاء دراسة. وأعرفه جيداً.. لقد تُوفي شقيقه في حادث قارب في جنوبي فرنسا وغادر انكلترا بسرعة... وفقدنا الاتصال معاً.

وتفحصت لوحة الكانفا الجميلة، وقد عرفت بأنها من عمل جان بيار لقد كان معتاداً على الرسم بحساسية ولكن هذه اللوحة كانت مجرد ظل للفنان الذي كانت تعرفه، وتساءلت كم يا ترى أثر عليه فقدان شقيقه، فقد انعكس هذا بالتأكيد على عمله.

وأتاها اقتراح مفاجيء من سارة:

ـ لقد بعت العديد من اعماله. وفي الواقع سأذهب لأحضر المزيد

منها غداً.. لم لا تأتين معي؟

وصُدمت لهذا الدفء الفجائي من سارة، فاستدارت لتواجهها:

ـ أوه.. لا أستطيع.

ونظرت إلى جايمس من أجل الدعم، ولكن شيئاً لم يبدو على وجهه.

ـ لقد قال لي جايمس إنك تساعدينه في مؤتمره. ومن المؤكد أنه يستطيع الاستغناء عنك لعدة ساعات؟ أستطيع أن أحضر لاصطحبك من الفندق..

وابتسمت سارة بعذوبة لجايمس، ثم فهمت ساندرا فجأة ما يجري. صحيح أن عملهما معاً قد انتهى إلا أن سارة لم تكن تنوي أن تتخلى عن جايمس، وهي مستعدة لاستخدام ساندرا للوصول إليه.

ـ لا... شكراً.. لا أظن أنني...

ـ هراء.. سأتصل بك عند الصباح لتدبير أمر الموعد.

والتفتت ساندرا بيأس إلى جايمس، متوقعة منه أن يحتج، ولكن كل ما شاهدته كان شدّه على عضلات فكه. ألا يرى بأنها لا تريد أن تتورط مع سارة ولا مع صديقها الفنان القديم؟ وعضّت ساندرا على شفتها. بالطبع لا يفهم، لأنه لا يهتم بها.. ولكن للحظات هذه الليلة فكرت... هل هي مجنونة؟ جايمس لا يهتم ولو قليلاً بها!

ـ حسناً.. إذا كان جايمس لا يعارض.. سأكون مسرورة بالانضمام اليك لمقابلة جان بيار بعد كل هذه المدة.

وبعد أن ودّعا سارة وخرجا متجهان لالتقاط سيارة تاكسي من زاوية الشارع. قال لها غاضباً:

ـ إذاً الآنسة البريئة ذات العينين الواسعتين لديها مخبأ في خزانتها.. أليس كذلك؟

وللحظات صُدمت ساندرا ولكن لمجرد لحظات. ومن خلال نفس عميق قالت:

ـ أتعني جان بيار؟ وهل تلمّح إلى أنه كان بيننا شيء؟ لقد كنا أصدقاء في المدرسة وهذا كل شيء. وتستطيع أنت أن تتكلم عن الأسرار؟ يبدو أنك وسارة قريبان جداً، كل هذا العناق والرقة...

ولم تذكر له باربرا، فسيكون هذا مؤلماً لها. وأمام خجلها، ضحك برقة:

ـ وهل أزعجك هذا.. صحيح؟ أتعلمين.. لقد ظننت أنك فتاة ذكية، خبيرة بالشارع عندما قابلتك أول مرة، هل هذا كان منذ ادعاءات؟ ولكنك في قرارة قلبك فتاة رقيقة جميلة قديمة الطراز، أليست هكذا؟ هل تحضنين وسادة فراشك الحريرية ليلاً وتحلمين بمراعم البرتقال، والأعراس البيضاء؟

وصمتت ساندرا، لم تستطع أن تفهم لماذا يسخر منها فجأة وبهذه المرارة.

ـ لا.. لا أفعل هذا، وهل هناك خطأ كبير لو أنني فعلت؟

ـ لا شيء أبداً.

ووصلا الى موقف تاكسي، وصعدت ساندرا إلى المقعد الخلفي. لم تشعر بالتعب هكذا طوال حياتها. لقد كان يوماً طويلاً لها، وليلة مربكة. وأغلقت عينيها، لا تريد أن تفكر بسارة الفظيعة وهي تلعب لعبتها لاجتذاب جايمس تحت أنفها، وهناك في أعماق أفكارها المرتبكة، توجد أيضاً شقيقتها... ولا بد أنها استغرقت في النوم.

كانت تشعر بالدفء والراحة واستفاقت.. إنها.. في المقعد الخلفي للتاكسي.. وهي بين ذراعي جايمس كوريللي! وحاولت أن تقاوم مبتعدة، ولكنه همس لها:

ـ اهدأي... واسترخي..

ـ أهدأ! كيف.. كيف تجرؤ على فعل هذا!.. كنت نائمة لماذا.. لماذا... أنت..!

ـ أتعنين أنني أشتهي الأموات؟ يا صاحبة العقل الشاذ، أنت لست ميتة، كنت تتظاهرين بالنوم وواعية جداً لما يجري...

ـ انت صاحب العقل الشاذ، وانا أعني ما أقول، أنت ساحر لعين! والآن اتركني ودعني أخرج من هذه السيارة!

وبقوة لا تصدق أستطاعت ان تدفعه إلى زاوية مقعد التاكسي. وتوقفت السيارة عند منعطف فندق «كليرمونت»، وفتحت الباب، وغرز كعب حذاءها صدفة في قدمه وهي تنزل إلى الرصيف. وتأوه بألم. وأمسك بقدمه. فقالت:

ـ ولا تتلاعب لأجل شفقتي عليك.. فلن أقع في شراكك بسهولة مرة ثانية. فقد تكون باربرا سهلة المنال ولكنني لست مثلها! فأنت على حق تماماً، إنني فعلاً أحلم بالبراعم البرتقالية!

واستدارت عنه بحركة متفاخرة وصعدت درجات الفندق وعبر الأبواب الدوارة، وقد فاتها صيحته لفراقها، التي صاح بها عبر هواء الليل الباريسي البارد:

ـ حسناً.. تزوجيني إذاً!

☆ ☆ ☆

٤ ـ تبقى أو لا تبقى!

رت جايمس على وجهه بمنشفة ثم نظف ماكينة الحلاقة فوق
غسلة. وتطلّع إلى نفسه في مرآة الحمام.. فرأى أمامه ابلهاً.
ـ لا بد أنك جننت.
غمض عينيه ليمنع ذكريات الليلة السابقة. لقد طلب الزواج من
تاة صغيرة بالكاد يعرفها. وحمداً لله لأنها لم تسمع، فلديه ما يكفيه
ن متاعب. وعندما فتح عينيه في الصباح، كان كل شيء قد توضح
لفه: يجب أن تذهب من هنا.
ـ صباح الخير ستيفن.
وحيّا مساعده وقد دخل إلى غرفة الجلوس في جناحه.
ـ صباح الخير جايمس.. كيف تشعر.. هل أنت مضطرب؟
وصب جايمس لنفسه بعض القهوة ثم وقف عند النافذة، وشرب
قهوة الساخنة القوية المرّة، وهو ينظر إلى الشارع في الأسفل، تقريباً
فس المنظر الذي يظهر من غرفتها.
ـ مضطرب؟ ولماذا الاضطراب؟

ونظر إليه ستيفن بقلق، وهز كتفيه وتابع كلامه:

ـ الاسطوانات بحالة ممتازة، والأوراق كذلك، لقد راجعتها ليلة أمس عندما كنت في الخارج. لقد قامت باربرا بعمل رائع بعدما حصل في غرفة الكومبيوتر. عبقرية منها أن ترسل شقيقتها لتوصلها لك، ولكن لو أنها ضاعت.. كيف شكلها؟

ـ من؟

ـ شقيقة باربرا، هل هي جميلة مثلها؟

وكاد جايمس أن يقول له أن يصمت. فكيف يستطيع أن يقارن بين الاثنتين؟، واحدة قاسية، جمالها لماع يصلح لغلاف المجلات، والأخرى فيها كل الدفء والنضارة والجمال لزهرة الصباح... اللعنة! وضرب فنجانه فوق الطاولة.. قطعاً يجب أن تذهب من هنا!

وقال ستيفن بابتسامة:

ـ أنا متلهف للقائها.

ـ لن يكون أمامك فرصة.. إنها مسافرة اليوم.

ـ ولكنك الليلة الماضية قلت إنها وافقت أن تبقى من أجل المؤتمر.. ماذا غيّر رأيها؟

ـ أنا غيّرت رأيي.. إنها غير مناسبة، مجرد طفلة.

وترك ستيفن المسألة، فقد كان أمامهما أمور أخرى مهمة وضاغطة. ودفع لجايمس بمجموعة أوراق على الطاولة وقال:

ـ بول برادشو جاء بالأمس وسوف يحضر المؤتمر.

ولأول مرة ذلك اليوم بدا على جايمس كوريللي الرضى.

ـ دبّر بعض اللقاءات الشخصية معه يا ستيفن.. إنه من أريد.

برادشو كان المدير المالي لمجموعة «يونيمت» واحدة من أضخم الشركات المساهمة في العالم، والتي من المحتمل أكثر أن تقبل بشروط جايمس. فهناك الموظفين ليهتم بهم، ومستشفى الأطفال

المرضى التي بناها والده وموّلها طوال تلك السنوات، وجايمس لا يريد أن يسيء إليهم فيما لو تم تغيير الإدارة، ولن يحصل هذا إذا نجح المستحضر الجديد، وكانت «يونيمت» مهتمة بأن تشتريه. ولكن قبل هذا هناك شيء تافه يجب التخلص منه!

واستيقظت ساندرا على قرع ملحاح على بابها. ولبضع ثواني لم تكن متأكدة مما يجري، ثم عاد كل شيء إلى ذاكرتها!

وأخذت وقتها في النزول من سريرها... هل حلّ موعد الإفطار... انها تشعر وكأنها لا زالت في منتصف الليل... ونظرت إلى ساعتها، إنها السابعة.

ـ لحظة من فضلك.

وقطعت الغرفة، مستعدة لتقول للخادم انها طلبت الإفطار عند التاسعة وليس السابعة.

ـ أوه.. هذا انت.

وتمنت لو أنها جلبت معها روبها، فثوب النوم الذي تلبسه يكشف أكثر مما يخبيء.

ـ بماذا تحدّق؟ أم أن هذا سؤال سخيف؟

ـ غطي نفسك... فقد يكون من دقّ الباب عليك أحد الخدم.

ولم تستطع فهم المنطق من وراء هذا الكلام. إنه سيء المزاج. وارتدت كنزة فوق غلالتها. وبدا الأمر سخيفاً، ولكنها لم تهتم.

ـ هل جئت لتعتذر عن تصرفك معي ليلة أمس في التاكسي؟ لا فائدة من اللف والدوران، فلا سبب آخر لمثل هذه الزيارة في مثل هذا الوقت من الصباح.

ـ وهل أعتذر لما كنت ترغبين به؟

وكان أمام ساندرا خيارٌ من اثنين، إما إن تتجاهل كلامه، وإما أن تصفع وجهه لهذه الإهانة. ثم شاهدت المغلف البني الذي يحمله

بيده، وبرد غضبها.

ـ ما هذا؟

ورمى المغلف على السرير بدون اكتراث وقال:

ـ هذا حريتك.

ـ حريتي...؟ لست أفهم.

ـ إنه جواز سفرك ومالك. وتستطيعين أخذ أول طائرة عائدة إلى الوطن هذا الصباح.

الحاجة للجلوس كانت تلحّ عليها، ولكن ساقاها لم تطيعاها. فوقفت دون حراك تنظر اليه ببلاهة. إنه يريد منها أن تسافر، والألم الذي سببته هذه المعرفة لها جعلها تشعر بالمرض.

ـ ولكنك الليلة الماضية كنت مصراً. أردتني أن أبقى لأساعدك. لماذا هذا التغيير المفاجىء؟

واستدار جايمس عنها، غير قادر على تحمّل هذه النظرة من عينيها الجميلتين.. والمكان الوحيد أمامه كان النافذة، ولكنها أمسكت به قبل أن يصل.

ـ لماذا يا جايمس؟

وشدت على كمه مجبرة إياه على مواجهتها.

ـ لأنك لا تناسبين الوظيفة. لست مناسبة وهذا كل شيء... لقد كنت على حق منذ البداية... وهذه مخاطرة أستطيع الاستغناء عنها في الوقت الحاضر.

وتحرك نحو الباب، ولكن ساندرا لن تدعه يفلت منها هكذا. وسدت له الطريق بجسدها، وسمعت صوت تنفسه الحاد. وصاحت به:

ـ لا... لن تفعل. فأنا لم أظهر كالغبية في المطعم... وأنا أعلم أنني ثرثارة بعض الأحيان ولكنني أعرف تماماً متى أتوقف. وأنا

اعمل في واحد من أكثر المعارض أهمية في لندن.. ولا يمكن لي أن أحتفظ بوظيفة كهذه إذا لم أكن جيدة في التعامل مع الزبائن...

وتوقفت في منتصف الكلام، وقلبها يخفق بجنون. لماذا تقوم بحق السماء بمدح نفسها له بينما هذا بالضبط ما تريده... أليس كذلك؟ جواز سفرها وعودتها إلى بلادها!

وبرزت أمامها الحقيقة المرة، وتراجعت مبتعدة عنه، وكأنها لُسعت.. إنها لا تريد أن تسافر... بل تريد البقاء، هنا في باريس، معه. وأدارت ظهرها له، مواجهة الجدار وكأنها طفلة قد عُوقبت. وقد لفت ذراعيها حول جسدها لتخفي الألم في داخلها.

ـ الأفضل أن تغادر غرفتي قبل أن أفقد اعصابي...

التهديد كان أكثر ما يمكن أن تملأ به صوتها، وهذا أمر قليل لو قارنته مع الضربة التي تلقتها عندما قام بصرفها، حتى أنها بالكاد استطاعت أن تتنفس.

ومضى وقت طويل قبل أن يعود إلى الكلام، وقت طويل أمضته ساندرا في صراع مع مشاعرها.

ـ لقد وضعت بعض المال فوق مالك، دفعة صغيرة...

واستدارت اليه بغضب.

ـ لأجل ما فعلته في التاكسي؟ أيها القذر.. أستطيع أن أرى كل شيء الآن، ولماذا تريد مني الذهاب، لكان الأمر قد اختلف لو أنني تجاوبت معك ليلة أمس... أليس كذلك؟

ـ ساندرا!

ـ لا تذكر اسمي! لما كنت في نصف تلهفك للخلاص مني لو أنني.. قبلت..

وأصبح ممسكاً بها قبل أن تدري. يداه تشدان بقوة على كتفيها، وكانت السيطرة القوية على أعصابه هي التي منعته من أن يهزها بين

يديه كما يهز كلب الصيد الأرنب بين أنيابه.

ـ إن لك عقلاً قذراً وراء هذا الوجه البريء يا ساندرا كايسي. وتستحقين الجلد بالسوط على كلام مثل هذا. صدقيني! أنا لست محتاجاً لأن أدفع لقاء أية خدمات.

ـ ما من شك أن مثل هذه الخدمات تُقدم إليك على طبق. اتركني! أنت تؤلمني!

ـ الرجال يقتلون لأقل من هذا القول... والآن قولي إنك آسفة لاتهامك القذر.

وصرخت بسرعة...

ـ حسناً... حسناً.. أنا آسفة.

وتركها بدفعة قوية، ووقفت تفرك ذراعيها من الألم.

ـ أنت لا تدرك مدى قوتك.

ـ والآن من هو الذي يتلاعب لاجل العطف.

والتقط الهاتف وطلب قهوة لاثنين. فقالت متعمدة:

ـ أنا لا أنتظر ضيفاً.

ـ اصمتي يا ساندرا.. لقد اكتفيت من كلامك اللاذع. وأنا آسف لو كنت آلمتك الآن، ولكنني أشد أسفاً على ما حدث الليلة الماضية، لم يكن يجب أن أدع هذا يحدث. فلست معتاداً على أن أفقد عقلي هكذا.

وتلاشى غضب ساندرا، وقوتها، وتدافعت الدموع بقوة إلى عينيها، ولكنها، وبشجاعة، منعتها من النزول. فهناك وقت كاف للدموع عندما تصل إلى لندن. كم كانت بلهاء وساذجة، لسماحها لنفسها أن تقع في حب هذا الرجل. فهو لا يهتم بها.

والتقطت المغلف عن السرير، وأفرغته فوق الأغطية. ورمت رزمة

المال الفرنسي، إليه. وقالت له بصوت خافت:

ـ لقد فعلت هذا لأجل باربرا. ولن أقبل باية دفعة منك...

ـ خذيها...

وصرخت «لا!» ثم خفضت صوتها وتابعت:

ـ لا أريد أي تعويض. أريد فقط أن اخرج من حياتك بأسرع وقت ترغب فيه أن ترى ظهري.

وخطا نحوها خطوة.

ـ انظري يا ساندرا، الأمر ليس كما تعتقدين...

ـ لا تقترب مني يا جايمس كوريللي.

والتقطت جواز سفرها ومالها ووضعتهما في المغلف ثم في حقيبة يدها.

ـ لست أعلم لماذا أردت مني البقاء أصلاً.. كنت تريدني، ثم أصبحت لا تريدني. ولا أستطيع تصور كيفية نجاحك في إدارة شركة تساوي ملايين الملايين المضاعفة من الجنيهات...

واستدارت لتنظر إليه والحيرة تغشى عينيها: هل هذا هو الرأس المدبر لشركة كوريللي للمستحضرات الطبية، الرجل ذو الدماغ، الرجل الذي عليه أن يقوم بالقرارات الحاسمة كل يوم من أيام حياته.. الرجل ذو النوعية الخاصة... لماذا..؟

وقالت له بهدوء، متشوقة لمعرفة الحقيقة:

ـ جايمس.. لماذا هذا التغيير؟ لقد طلبت مني البقاء لمساعدتك، والآن تقول بأنك أخطأت، وقمت بحكم خاطىء على شخصيتي. ولا أستطيع تصديق هذا، وليس للأمر علاقة بما حدث في التاكسي... أليس كذلك؟

ومضت برهة طويلة قبل أن يجيب.

ـ انا بالتأكيد لم أقم بحكم خاطىء عليك... فأنت ذكية ولا بأس

بك. ولهذا كل العلاقة بما حدث في التاكسي.

ـ ماذا تعني؟

وتقدم منها وبدأت مشاعرها تتصاعد لقربه منها، ثم أمسكها قريباً جداً منه وهمس:

ـ أعني هذا... هل أنت مستعدة لتقبّله يا ساندرا؟

فدفعته في صدره.

ـ انا لا أفهمك.

ونظر إليها وعيناه قد تغيّر لونهما.

ـ وهل تنكرين هذا؟

وضمها إليه بقوة... وأحسّت بمشاعرها تتصاعد بشكل خطر.. فانتزعت نفسها منه وهي تقاوم دموع الألم والبؤس وقالت:

ـ لماذا تفعل بي هذا يا جايمس؟ هل هو نوع من العقاب؟

ـ أنا أؤكد لك فكرة معينة يا ساندرا. لو بقيت هنا معي في باريس فهذا ما سيحدث بيننا. وأنا لست معتاداً على العبث، فإما أن أحصل على كل شيء، أو الأفضل «لا شيء».

وهمست وهي تحاول الخلاص من بين ذراعيه:

ـ أنت نذل! أتحاول أن تقول إنك تصرفني من هنا لحماية طهارتي؟ ومنذ متى أنت تقي ورع هكذا؟ إن لك علاقة مع شقيقتي... وهي بحاجة للاحترام أيضاً، ولكنك لا تفكر بها.

ـ أنا على علاقة بأختك؟ اهذا ما عنيته عندما قلت في التاكسي إنك لست سهلة المنال مثلها؟

وعضت على شفتها، وتمنت من كل قلبها أن لا يذكر باربرا في هذه اللحظات ونظر إليها جايمس، والغضب يتجمع في عينيه. وتركها، وكبح غضبه. ثم قال:

ـ شقيقتك ليس لها علاقة بيننا. إذا بقيت في باريس، فأنت تعرفين

ماذا ستتوقعين مني...

ـ بكلمات أخرى.. جزء من وظيفتي هو القبول بمغازلتك؟

وحدّقت به ساندرا بألم... كيف يمكن له أن يقترح عليها هذا الأمر؟ وقالت له وهي تهز رأسها:

ـ لا أستطيع أن أفعل هذا. أريد أن ابقى وأساعدك ولكن ليس بهذه الطريقة، ولا بهذه الشروط.

وطافت عيناه فوق وجهها وقال ببرود:

ـ الليلة الماضية لم تريدي البقاء، وقلتي إن لديك مليون سبب لعدم استطاعتك. وتلوميني لأنني غيّرت رأيي، ولكن ما هي الريح التي غيّرت رأيك أنت؟ هل لها علاقة باكتشافي لحبيب قديم لك هنا في باريس، يمكنك بسهولة الوصول إليه؟

وصفعته على وجهه بكل قوتها، ولكنه لم يتأثر، وصاحت به:

ـ لم يكن حبيبي، وليس له علاقة أبداً بتغيير رأيي. لقد غيّرت رأيي بسبب شيء لن تفهمه أنت ولو بعد ألف سنة. فأنت مشغول جداً بربط أطراف شركتك، وموازناتك، ولعب ألعاب التعاون. فالناس وُجدوا لتستغلهم في حياتك... أليس كذلك؟

ولمعت عيناها بقوة، ثم أشاحت بنظرها بسرعة. لقد أفشت بالكثير من أسرار قلبها، ومشاعرها تتصاعد بشكل خطر إلى شفتيها، وجان بيار بعيد مئات من السنين الضوئية عن قرارها بالبقاء في باريس، وهو، جايمس كوريللي، السبب الوحيد لرغبتها في البقاء هنا، ولكنه لا يريدها، إلا كلعبة للعبث لبضعة أيام، وهذا كل شيء.

وحطمت، دقة على الباب، جو العداء بينهما. وسارعت ساندرا للتحرك. وفتحت الباب للخادم الذي أحضر لهما القهوة. وبينما كان يضع الصينية على الطاولة الصغيرة قرب النافذة، أصلح جايمس من

ربطة عنقه، وأعطى الخادم «البقشيش» وانتظر إلى أن غادر الغرفة، ثم قال:

ـ الخيار لك في البقاء أو عدمه... أنا أحتاج لمساعدتك بعد المؤتمر، ولكنني واثق أنني لا أرغب في تمويل إعادة جمع شملك مع ذلك الفنان غير الموهوب. وأية مصاريف خارج إطار العمل ستتحملينها أنت.

وقطع الغرفة نحو الباب وفتحه، ثم توقف عندما نادته، وسألته بخشونة وتردد:

ـ هل تريدني أن أبقى؟

وأبطأت دقات قلب ساندرا وهي تنتظر الجواب الذي يبدو أنه وجد صعوبة في إيجاده، ثم قال أخيراً:

ـ أجل.. أريدك أن تبقي.. فأمام الشركة وقت عصيب، وأحتاج إلى كل المساعدة التي أستطيع الحصول عليها.

ثم خرج وأغلق الباب وراءه. وصُدمت لبرودته وأخذت ترتجف، ولم يتح لها الوقت لتجميع شتات مشاعرها، فقد رنّ جرس الهاتف وصاحت من الدهشة عندما ردّت:

ـ أوه.. باربرا! هل تتصلين بي من المستشفى؟

ـ لديّ أخبار سيئة، كما أخشى. لقد كسرت عظمة صغيرة في قدمي اليسرى، يجب أن أضع الجفصين عليها هذا الصباح. إنه شيء مزعج فظيع.. لن أستطيع أن ألاقيك في المطار..

ـ لا تقلقي يا باربرا.. انتبهي لنفسك لتشفي.. أستطيع أن...

ـ هذا ما قاله جايمس بالضبط عندما اتصلت به ليلة أمس حبيبي المسكين.. لقد بدا على حافة الإحباط. لقد كان ممتناً لي كثيراً لإرسالك مع الاسطوانات، وقلت له إنني سأتحسن بأسرع وقت ممكن ولكنه قال إن كل شيء على ما يرام وإنه دبّر أمر من يساعده بصورة

مؤقتة...

ـ أجل... أنا... ولكن...

أرادت أن تقول لها إنها لن تبقى ولكن باربرا قاطعتها بريبة:

ـ أنت! جايمس طلبك أنت؟ لا بد أنك مخطئة يا عزيزتي!

ـ بالطبع لست مخطئة. لقد طلب جايمس مني البقاء لأساعده بعد محاضرته..

ـ لا تكوني سخيفة هكذا يا ساندرا، أنت دائماً مشتتة الأفكار. من الواضح أنك لم تفهمي ما قاله...

وأخذت تفتخر حول أنها القادرة الوحيدة على مساعدة جايمس كوريللي، وأن ساندرا إنما تجعل نفسها تبدو مغفلة ومزعجة. وعند هذه النقطة بدأت الدماء تغلي في عيونها.

ـ أعتقد بانك لم تستطيعي في حياتك استيعاب فكرة أن شقيقتك ليست قادرة على الاعتناء إلا بأب مريض... لقد طلب مني جايمس المساعدة، وهو مؤمن أنني قادرة على توفيرها له. فأنا أتكلم الفرنسية بطلاقة، لا تنسي هذا، وهذا أمر لا تستطيعينه...

وصدرت من الناحية الأخرى للهاتف صيحة استهجان وتعجب، مما جعل ساندرا تدرك أن رصاصتها الوحيدة التي تملكها ضد شقيقتها، اللغة الثانية، قد أصابت هدفها. ثم، وكالعادة، ندمت على انفجارها هكذا بوجه شقيقتها. فهدأت من لهجتها وقالت:

ـ باربرا، أنا لن أستطيع القيام بالوظيفة بشكل رائع مثلك، وحتى جايمس يقرّ بهذا... ولكنه أراد...

ولم تكن باربرا خائفة من أن تخسر حبيبها لأختها الصغيرة، ولكنها كانت خائفة من أن تقوم ساندرا بعمل أبله قد يؤثر عليها بشكل ما.

ـ ساندرا، هذه ليست فكرة جيدة! جايمس يطلب الكمال. فلو

خرجت عن الخط معه، لو قلت كلمة واحدة خاطئة، فقد يكلفني هذا وظيفتي!

أخرج عن الخط! كلمة واحدة خاطئة! إنها صفعت هذا الرجل، ودعته بكل الأسماء القذرة المعروفة تحت الشمس...

ـ ساندرا! ساندرا؟ ألا زلت معي؟

ـ أجل.. أجل لا زلت معك..

ولكن من المؤكد أنها ليست معها تماماً. كم هي مغفلة لأن تترك الحديث يتشعب هكذا. باربرا الآن مقتنعة بأنها ستبقى لمساعدة جايمس، وإذا حاولت الإنكار فستضطر إلى الشرح الطويل.

ـ اسمعي... سأتصل الآن بجايمس...

ـ وماذا ستقولين له؟ إن شقيقتك الصغرى بلهاء، ولا فائدة منها لأي كائن حي؟ حسناً هيا يا باربرا اتصلي به، فهذا سيعني له أنه لا يستطيع اتخاذ القرارات بنفسه، وأنا متأكدة أنه سيشكرك على هذا. وأنت لست بحاجة لي للمخاطرة بوظيفتك، فانت قادرة على هذا بنفسك.

ـ هل جننتي؟

ـ أجل... هذا ممكن...

ووضعت ساندرا السماعة من يدها. ثم جلست على حافة السرير لفترة طويلة. تتأمل وهي تضع رأسها بين يديها. لماذا قالت لأختها ما قالته؟ لقد حشرت نفسها في وضع لا تستطيع إخراج نفسها منه... كان عليها أن تقول لباربرا إن ليس لديها النية في البقاء، منذ أن بدأنا تلك المحادثة السخيفة. وها إن باربرا الآن مؤمنة بأنها باقية لتساعد جايمس، وإذا عادت إلى لندن بعد ظهر اليوم، فستريد أن تعرف السبب.

وماذا ستقول لها؟ أتقول «لأن رئيسك الغالي يطالب بأكثر من

ساعات عمل طبيعية، يا باربرا العزيزة، وأنا واثقة أنك تعرفين ماذا أعني» وبالقدر الذي رغبت فيه أن ترد الضربة لشقيقتها، كانت تعرف أن باربرا مهتمة جداً بجايمس. ولكنه مع ذلك لم يؤكد ولم ينفي تلك العلاقة.. ولكن ماذا يهم على كل الأحوال؟

ونهضت عن السرير لتقف قرب النافذة تراقب ازدحام السير لساعات الصباح العملية، في الشارع خارجاً. ولكن الأمر يهم... وحضنت نفسها بذراعيها... الأمر يهم، وبألم.

وأحسّت ساندرا بألم في رأسها، كم من السهولة تستطيع بها أن تقبل بشروطه، وأن تعمل معه وتحبه، كما طلب. ولكن هذا لن يكون كافياً، لقد علمت هذا من شعور يجتاحها ولم يعطها أية راحة بال.. هل من الممكن الوقوع في الحب بهذه السرعة، وهذه السهولة، وهذا العذاب؟

وتنفست في الهواء، ولكنني لا أحبه. إنه مجرد شعور، رغبة، ولكن لا يمكن أن يكون الحب، أليس كذلك؟ وتمنت لو تعرف. وتمنت لو أن هناك كتاب تستطيع شراءه، يسأل العديد من الاسئلة، ثم في النهاية يجيب عليها لتستطيع معرفة مشاعرها وتتأكد. ولكن ماذا ستفعل بهذه المعرفة؟ فهل ستشكل فرقاً لها في كيفية التعامل مع هذا الوضع؟..

أن تبقى أو لا تبقى... هذه هي المسألة! وعضّت على شفتها بقوة، وحاولت أن تفكر بشكل إيجابي. أن تضع قائمة للسلبيات والايجابيات.

وأخذت أوراق الرسم وقلماً، وكتبت قائمتين. الايجابيات كانت سهلة: باريس في الربيع... وسائل الراحة في فندق «كليرمونت»... وقت للرسم ولإشباع هوايتها في المعارض... والسلبيات كانت سهلة أيضاً، ولكنها واحدة فقط: جايمس كوريللي!

الأمر كله عائدٌ إليها: حقاً. وتنهدت، ثم مزقت الورقة من دفتر الأوراق ولفّتها في يدها كالكرة... إنها ترغب في البقاء في باريس... فهي مدينة أحلام كل فنان، وما هي فرصتها في أن تعود ثانية إليها؟ الأمر صعب عليها بما فيه الكفاية لتجمع المال لتشتري حريتها بعيداً عن باربرا، وفي العام القادم سوف يصبح معها ما يكفي لدفع تأمين شقة صغيرة في ضاحية ما من لندن. ولن تحصل على إجازة ولو بعد دهر من الزمن. ولكنه ليس بالسبب القوي ليجعلها تعاني ما قد لا تستطيع تجنبه من المعاناة في سبيله، أن ترى جايمس كل ليلة، وأن تقع بعمق أكثر في حبه. ولكن ربما لا.. فقد تتعلم كيف تكرهه خلال الأيام القليلة المقبلة. إذاً سوف تبقى، وتضع رباطاً شديداً حول مشاعرها، ولا حاجة له لأن يعرف كيف تشعر تجاهه. وستكون قوية الإرادة، فهي لم تعتبر نفسها أبداً ضعيفة، أما بالنسبة لتهديداته بمغازلتها... حسناً الأمر أيضاً عائدٌ لها. فقد رفضت مرة... وإذا ظهرت أية بوادر قادمة فسوف ترفض ثانية.

كانت تجلس قرب النافذة تتقاسم قطعة «الكرواسان» مع الحمام الواقف على النافذة، عندما رنّ جرس الهاتف، وكانت سارة لتقول لها بأنها ستقابلها في قاعة الاستقبال، بعد ساعة.

وهذا ما أعاد جان بيار إلى تفكيرها. فلم يكن جايمس بعيداً عن الحقيقة عندما قال بأنه حبيب سابق. كان جان بيار يعاملها مثل واحدة من بنات أعمامه وأخواله الذين تركهم في «ليون» ومع ذلك فقد كان هناك تلك الساعة عندما رفع لها ذقنها إلى الأعلى ليقول لها إنها تملك أجمل تكاوين وجه رآها في حياته، وعبث بأصابعه في وجهها، وكانت متأكدة بأنه سوف يعانقها لو لم يدخل عليهما مجموعة من التلاميذ، ملأوا الاستديو، استعداداً للمحاضرة، بعدها بقليل حدثت تلك

الفاجعة، وسافر، ومثل بقية الفتيات نسيته.

لقد تغيرت نوعية عمله، وكانت محبة للاستطلاع قليلاً. وماذا لو ذهبت مع سارة لتمضي نصف ساعة سعيدة مع صديق دراسة قديم؟

وارتدت الجينز والكنزة بسرعة، ومشّطت شعرها، ثم نظرت في ساعتها لتجد أن أمامها فترة طويلة تقضيها قبل أن تصل سارة، واستقلت المصعد نحو الطوابق السفلى تحت الأرض حيث ينعقد المؤتمر الطبي فهي تريد أن تحضر افتتاح المؤتمر وخطاب جايمس ولكن الحارس أوقفها عند المصعد:

ـ هل لديك اذن مرور؟

ـ لا... ولكنني أعمل لشركة كوريللي.

ـ وهل معك جواز سفرك؟

ومدّت يدها إلى حقيبتها، ولحسن الحظ كان الجواز هناك، وتفحصه الحارس، ثم مرّر أصبعه فوق لائحة، ولاحظت ساندرا بذهول أن اسمها موجود في أسفل اللائحة. من المؤكد أن جايمس كوريللي رجل كفؤ، وواثق من أنها ستبقى.

وابتسم الحارس وأعاد اليها الجواز وأشار إلى باب مزدوج في نهاية الممر. وقال لها:

ـ المكان مليء. ولكن هناك مجال للوقوف في المؤخرة.

وتسللت ساندرا إلى الداخل، واستقرت عيناها على المتحدث الطويل عند المنصة، وللحظات لم تدرك إلى من كانت تتطلع.

لقد كان غريباً.. غريباً رائعاً، استولى على اهتمام وانتباه الجميع بخطابه الجذاب.. صوته كان طلقاً بدرجة خارقة، مقاعد المشاهدين كانت مليئة بالرجال والنساء، يسجّلون الملاحظات يراقبونه بانتباه، والبعض يمسك بسماعات الترجمة الفورية بشدة، خوفاً من أن تفوتهم كلمة. أهذا هو جايمس كوريللي الذي أهانته وصفعته؟ هل هو نفسه

هذا الواقف أمامها بعيداً عن مرمى اللمس وكأنه آت من كوكب آخر؟

وخرجت إلى الممر، وتنفست الصعداء، وبطريقة ما وجدت طريقها إلى الطابق الأرضي ثم إلى قاعة الاستقبال.

ـ لقد أردت حقاً أن أرى جايمس قبل أن نذهب.

الصوت من ورائها جعلها تلتفت لتواجه سارة.. إذاً هي لم تكن مخطئة... فتصرفات سارة الودية معها لها هدف وحيد. هو الاجتماع بجايمس ثانية. وقالت لها ساندرا:

ـ إنه في المؤتمر يخطب.

وهزّت سارة كتفيها، فهي لن تستسلم.

ـ لا داعي للقلق، سألتقطه عندما أوصلك. فقد سمعت لتوي عن أروع مجموعة من اللوحات الأصلية قد تثير اهتمامه...

واخذت تثرثر وهما تخرجان نحو الباب الأمامي لفندق «كليرمونت» ولكن ساندرا بالكاد استطاعت أن تفهم منها كلمة.

وتبعت سارة على مضض نحو سيارتها، وهي تتمنى لو أن هناك دراجة نارية مسرعة تمر أمامها لترمي بنفسها تحتها!

☆ ☆ ☆

٥ ـ حب لأيام قليلة

انطلقت سارة بسيارتها «الرينو» في الشارع دون أن تنظر خلفها، ودوت منبهات السيارات من حولهما ولكن سارة تجاهلتها. وسألت ساندرا بصراحة:

ـ وكيف أتيت إلى باريس وأصبحت تعملين مع جايمس؟

ما كانت تريد معرفته حقاً، هو كم هي وجايمس متقاربان. ولم تكن ساندرا في مزاج للتلاعب، فاخبرتها عن أن شقيقتها هي سكرتيرة جايمس، وعن الحادثة وعن الحقيبة التي كان يجب ايصالها. وأنهت كلامها بالقول:

ـ ومن دون باربرا، يحتاج جايمس إلى من يساعده في العلاقات الاجتماعية. وطلب مني أن أبقى. وسأعود إلى وظيفتي عندما ينتهي المؤتمر.

ـ إذاً أنت لست متورطة عاطفياً مع جايمس؟

ولم تستطع ساندرا إلا أن تبتسم، فهذا يشير إلى أن سارة بعيدة عن

روايتي

جايمس، فقالت، وهي تأمل أن ترضي سارة بهذا الرد وتتركها وشأنها:

ـ إنه كبير في السن عليّ.

ـ أنت على حق.. إنه من الطراز الذي يرضي امرأة أكبر منك سناً.

وبدا أن سارة قد أصبحت دافئة أكثر تجاهها بعد أن علمت بأنها لا تشكل تهديداً لها، مع أن ساندرا لم تكن واثقة من شعورها نحوها.

مجموعة الأبنية التي يسكن في أحدها جان بيار، كانت في منطقة شعبية في ضواحي المدينة. كانت بناية طويلة ضيقة دون مصعد، وتسلقتا السلالم، ورائحة الثوم والملفوف المطبوخ تغمر المكان.

شقة جان بيار كانت أعلى شقة في البناية. ودقت سارة على الباب، ولم يصدر أي رد. وارتاحت ساندرا ثم استدارت:

ـ من الواضح إنه ليس هنا يا سارة، دقك على الباب يوقظ الميت.

وندمت ساندرا على اختيار هذه الكلمات عندما فُتح الباب، وظهر جان بيار وكأنه الشبح لذلك الوسيم الذي كانت تحبه في المدرسة. شعره البني الفاتح أصبح غامقاً جداً، وبشرته الذهبية اصبحت منتفخة، وفمه الذي كان يضحك بسهولة أصبح جافاً، وبخطوط متزمنة.

وكانت الردهة معتمة حتى كان على سارة أن تعرّف عن نفسها مضيفة:

ـ لقد اتيت معي بصديقة قديمة لك.

عندها خطت ساندرا نحو الضوء، فأضاءت وجهه ابتسامة مشرقة لمعرفتها.

ـ ساندرا! لا أستطيع التصديق! أنت هنا في باريس... دعيني أنظر إليك.

وأمسكها من كتفيها بأصابع لا قوة فيها، ومع أن ساندرا حاولت أن تبدو سعيدة لرؤيته ثانية، فقد شعرت بالقلق، فهو يبدو مختلفاً جداً، وأكبر بكثير، وبدون حيوية. وتراجع إلى الخلف وأشار لهما «تفضلا إلى الداخل».

وقالت له سارة شارحة:

ـ لقد تعرفت سارة على إحدى لوحات «الكانفا» التي تصنعها. أليست هذه صدفة رائعة؟ هل أنهيت الصور التي طلبتها منك؟ ولكنني لا أعدك بأنني سأبيعها كلها...

وأخذ جان بيار سارة نحو طرف الغرفة حيث عدة لوحات تستند إلى الحائط، وعندها لاحظت ساندرا من منظر الأثاث في الشقة أن صديقها مفلس. وصنع لهما القهوة، وتحدث إلى ساندرا سائلاً إياها عن بعض المعارف المشتركين، بينما كانت سارة تفتش بين اللوحات، وتضع بعض ما تهتم به جانباً. وقالت له ساندرا:

ـ لقد فقدت الاتصال بالجميع بعد أن تركت الدراسة لأهتم بوالدي المريض.

ـ وأنا كذلك.

ـ أنا آسفة بخصوص شقيقك، لقد تركت المدرسة بسرعة ولم تتح لي الفرصة لأن اودعك. لا بد أنك افتقدته كثيراً.

ـ أجل.. ولكن الحياة تستمر... لا زلت غير قادر على التغلب على دهشتي للقائك يا ساندرا، ولا على صدفة تعرّفك على إحدى لوحاتي في معرض سارة.

فضحكت ساندرا وقالت:

ـ أجل... الأمر لا يُصدق أليس كذلك؟

وأخيراً أعلنت سارة عن نيتها في الذهاب.

ـ سآخذ هذه اللوحات الثلاث يا جان بيار، ولكن كما قلت لا

أعدك ببيعها.

ـ ألا تستطيعين إعطائي شيئاً على الحساب؟

وأحسّت ساندرا بالألم يعصر قلبها، لا بد أنه مديون، على الأقل بالايجار، وهو لا يطعم نفسه بشكل لائق. وترددت سارة للحظات ثم قالت:

ـ أنت تعرف أنني لا أفعل هذا عادة... فإما أن تُباع اللوحات أو تعود...

ولاحظت نظرة التوسل في عيني ساندرا، ففتحت حقيبتها وفتشت عن بعض المال. وقال جان بيار هامساً:

ـ أود رؤيتك ثانية قبل سفرك.

ـ أجل... أجل سيكون هذا جميلاً.

كان من الممكن ان تسعد لرؤية جان بيار القديم، ولكن هذا الرجل يقلقها بشكل عميق. إنه بحاجة للعون، وهي متأكدة من ذلك، ولكن هل تستطيع عرض العون عليه؟

ـ سأعطيك رقم هاتف فندق «كليرمانت» ورقم غرفتي، وتستطيع الاتصال بي.

وفي الخارج، عند الشارع، وبعد أن تودعا، تنفست ساندرا الصعداء، ثم تنهدت وقالت لسارة:

ـ شكراً لك لمجيئك بي إلى هنا لرؤيته... لقد تغير كثيراً.

ـ أجل لقد تغير... ولكن هكذا هي الأيام.

ـ لن اعود معك يا سارة، أريد أن أشتري بعض الأشياء، بعض الفساتين للسهرة.

فضحكت سارة:

ـ لن تجدي شيئاً هنا. اصعدي في السيارة وسأوصلك إلى محلات «لافاييت»... إنها على طريقي.

وأوصلتها سارة إلى خارج محلات «لافاييت» ثم تركتها وانصرفت دون أن تودعها.. واشترت ساندرا فستاني سهرة: أحدهما أحمر كلون اشارة السير والآخر بلون المحار. وبدا الأمر غريباً أن تصرف كل هذا المال بعدما رأت بؤس حياة جان بيار، ولكن هذا كان ضرورياً، فهي لم تعد تستطيع لبس ثوبها الأسود كل ليلة.

واستقلت سيارة أجرة عائدة إلى الفندق.

عند باب غرفتها وقفت تفتش عن المفتاح... اللعنة! لا بد أنها أضاعته عند جان بيار عندما وضعت حقيبتها على الصوفا.

ولعنت نفسها مئة مرة وهي تستقل المصعد في طريقها إلى قسم الاستعلامات في الفندق لتأخذ المفتاح الإضافي... يا للسماء، إنه كبير بما يكفي لأن تراه..

ـ إذاً لقد قررتي البقاء.

ودخل خلفها في المصعد، واستدارت ساندرا، وقفز اللون إلى وجهها وهي تواجه جايمس. وبدا تعباً ومرهقاً، وشعرت نحوه بالشفقة، لقد أمضى النهار وهو يعمل بكد، بينما كانت هي تضيع وقتها مع سارة وجان بيار.

ـ أجل... أنا...

ولم تستطع التفكير بسبب... فقال لها متهكماً:

ـ لقد سمعت أنك أمضيت وقتاً طيباً مع مع صديقك القديم..

ـ وهل قالت لك سارة هذا؟

ـ أجل... سارة. كان يمكن لك أن توفري عليّ لقائها. فآخر شيء أرغب به الآن هو مجموعة اللوحات الأصلية لفنان تشيكي مغمور...

ـ إنها مولعة بك...

وضحكت، وسرّت لرؤية وجهه يبتسم.

ـ هل هذا صحيح..؟ أنا مندهش. وماذا فعلتي بعد ذلك؟

ـ لقد كنت محتاجة لفستانين. فأنزلتني سارة عند أحد المحلات.

ـ أنا بشوق لاراك ترتدينها... او تخلعينها، لا فرق.

إنه لا يزال يداعبها، أو هو يحاول إخافتها. وقطبت جبينها فتابع قوله:

ـ وأين أنت ذاهبة الآن؟

وتوقف المصعد عند الطابق الأرضي، وفتحت الأبواب:

ـ لقد نسيت أن آخذ المفتاح من موظف الاستقبال.

وصلّت كي لا يأتي إلى طاولة الاستقبال معها، حتى لا يكتشف بأنها كانت حمقاء لفقدانها مفتاحها. وسألته وهما يسيران معاً:

ـ كيف كانت المحاضرة يا جايمس؟

وتنهد وكانه قد ارتاح لأن الأمر قد انتهى وأجاب:

ـ بشكل رائع..

وتوقفت ساندرا لتمسك بذراعه وتقول بصوت خافت:

ـ أنا سعيدة لهذا.

ـ وأنا سعيد لأنك سعيدة. سأذهب الآن فأنا بحاجة لهواء نظيف ولتغيير المناظر. قابلي مساعدي ستيفن مارشال عندما تصلين إلى فوق... إنه في جناحي وسيعطيك المعلومات اللازمة لهذه الليلة... سأراك فيما بعد.

وابتعد عنها، وراقبته ساندرا وهو يبتعد، متمنية لو أنها تذهب معه...

وأعجبت ساندرا بستيفن على الفور. كان متوسط العمر، مكرش قليلاً، بشعر فضي خفيف، وعينان زرقاوان لامعتان رائعتان.

ـ ادخلي ياساندرا... أجل... أستطيع ملاحظة الشبه. لقد كنت أتكلم

تتوي مع باربرا على الهاتف. ماهذا الارتباك حول بقائك أو عدمه؟ لقد بدا أن جايمس يعتقد أنك لن تبقي هذا الصباح.

ـ لقد حصل سوء تفاهم صغير و...

ـ أوه.. لست مندهشاً، جايمس ليس رب عمل سهل التفاهم معه في هذه الأيام، فالكثير يشغل فكره، وأتعجب كيف باستطاعته تدبير أمر نفسه. ولكنه يتدبر الأمر حتى ولو اضطر إلى تمزيق رأس أي إنسان آخر.. على كل، أنت هنا وهذا هو المهم. هل ترغبين في شيء تشربينه؟

وطلبت ساندرا بعض العصير، وقد شعرت بالتعب والعطش فجأة. ومع بعض الحظ قد تجد وقتاً لترتاح قبل حلول المساء.

ووجدت أن ستيفن سهل التحدث معه، فبدأت ترتاح، وفي الوقت الذي أنهت فيه كوب العصير واستمعت إلى تعليماته السهلة حول حفلة الكوكتيل، كانت تتوق لأن تبدأ الحفلة. ستكون الحفلة كما توقعتها، وابتسمت لنفسها وهي تذهب إلى غرفتها: جايمس وستيفن سيتوليان أمر محادثات المبيع، بينما هي ستهتم بأن يكون الجميع مسرورين.

وفتحت العلبة التي تحتوي على الفستانين وعلّقتهما في الخزانة. سوف ترتدي الفستان الأحمر هذه الليلة، وسوف تمشّط شعرها إلى الأعلى لتزيد من تأثير الفستان الجميل... وارتاحت لما اختارته، فصعدت إلى الفراش وأغلقت عينيها.

واستغرقت في النوم، ولكنها استيقظت منزعجة. وبعد أن استحمت، وضعت مكياجها بعناية، ثم مشّطت شعرها عالياً فوق رأسها. وما إن انتهت حتى ساورها الذعر. كيف تصورت أن بإمكانها أن تفعل هذا؟ لقد قال لها ستيفن ان العديد من نخبة المجتمع سوف

يحضرون الحفلة. . فكيف يحيي المرء واحداً من هؤلاء؟ بلهاء! لقد باعت أحد أصحاب الألقاب لوحة في الأسبوع الماضي. . . كلهم سواء. . . وهذه الفكرة سوف تساعدها هذه الليلة.

عندما وصلت إلى جناح جايمس قال لها:

ـ أنت تبدين رائعة.

ولكن الإطراء لم يسعدها، فهي تفضّله مع ابتسامة، ولكنها أدركت أنه متوتر، ولذا سامحته.

وتغير الجو عندما بدأ الضيوف بالتوافد. وخفّ توتر جايمس، وأصبح تصرفه معها ألطف. ولو أنها لا تعرفه تماماً لظنت بأنه فخور لتقديمها لضيوفه. ولكن كل هذا كان تمثيلاً، فهي بكل بساطة جزء من موظفي شركة كوريللي.

ولم تخذله، لقد كانت متأكدة من هذا، واخذت تدور بين الضيوف وتقوم بما هو متوقع منها، ولم تقم بتقديم المقبلات والمشروبات بنفسها، بل أن موظفي الفندق قاموا بهذا. . وكانت المائدة معدّة بشكل رائع عند طرف الجناح.

وكان رائعاً كيف أن وظيفتاها في لندن قد دربتاها جيداً على استقبال الناس. فالتحدث عن الفن والمشروب في باريس كان سهلاً عليها، وبدأت تتمتع بأمسيتها، وهمس لها ستيفن، في خلال لحظة قصيرة لم يكن برفقة أحد.

ـ كيف تجري الأمور؟

ـ دون مشاكل. .

وفي تلك اللحظة التقت عيناها بعينيّ جايمس عبر الغرفة. ورفع يده بالتحية لها، وكانت هذه أول إشارة حقيقية لإعجابه بها طوال السهرة. فابتسمت له، وخفضت نظرها وهي غير قادرة على استمرار النظر إليه.

ولم تبق ساندرا لوحدها لحظة، فقد انضم اليها «السير هوارد» وزوجته الصغيرة الجسم «الليدي هيلدا» ووقف معهم رأوول دومارو أحد المستشارين الخبراء من ليون. وأصبحت ساندرا بعد قليل تقوم بالترجمة من الفرنسية إلى الانجليزية وبالعكس بينهما.

واقتربت السهرة من نهايتها، وبدأ الضيوف يغادرون. . . وكان رأس ساندرا يلّف ويدور من التوتر لأضطرارها إلى التنقل بين اللغتين تكراراً وبسرعة. وأحسّت بألم في رأسها. فجلست على الصوفا وصبّ لها ستيفن أول كأس عصير لها هذه الليلة.

ـ أوه يا ستيفن، أنا بحاجة لهذا العصير.

وارتاحت لخروج آخر ضيف، فخلعت حذاءها بارتياح. فضحك ستيفن:

ـ باربرا لا تفعل هذا أبداً. . . سوف تقاسي الألم حتى النهاية.

ـ هذه بلاهة منها. . يشعرني هذا بأكبر ارتياح في الدنيا. . .

يبدو أنك تعرف شقيقتي جيداً.

ـ للأسف، ليس كثيراً. . فشقيقتك سيدة مراوغة، لقد عرضت عليها الجواهر، والسيارات الفاخرة، والرحلات إلى اقاصي الارض. . .

ـ توقف عن المزاح يا ستيفن.

ـ ومن يمزح يا صغيرتي؟ إنها تحمل مشعل الإخلاص لجايمس وليس لي.

وجالت ساندرا بنظرها في الغرفه، ولم يكن جايمس هناك. ولم تدري لماذا قالت له:

ـ أنا آسفة.

ـ آسفة عليّ أم على باربرا؟

ـ لو أتيحت لك الفرصة، لكنت أنت وجايمس رائعين بشكل مماثل.

ورمى رأسه إلى الخلف وضحك:

ـ أنا... رائع.؟ أنا معجب بك يا ساندرا كايسي الصغيرة. أتعلمين، يجب عليك أن تعملي في العلاقات العامة، وهناك عدة فرص مفتوحة أمام الشابات في مثل براعتك وقدراتك العقلية.

ـ أنا سعيدة بما أعمل.

وفجأة أرادت أن تكون لوحدها. هل يعلم العالم كله كم أن باربرا مهتمة بجايمس؟ إنها تحسد شقيقتها، لوجودها معه كل يوم من أيام حياتها العملية، وحب ساندرا يجب أن ينتهي خلال أيام... وهي مثل ستيفن يجب أن توافق نفسها على الشروط غير المكتملة، وتنهدت متسائلة:

ـ اين جايمس؟

وأحسّت بالخيبة عندما اخبرها ستيفن أنه ذهب إلى قاعة المؤتمرات ليتأكد من أن كل شيء محضر لسلسلة المحاضرات في الأيام القادمة، وشعرت بأنها مهجورة، وكأنها قد أنهت مهمتها ولا لزوم بعد لخدماتها هذه الليلة. وقالت لستيفن وهي تحشر قدميها المتورمتين في حذائها:

ـ الأفضل أن أذهب.

ـ الن تنتظري رجوع جايمس؟

من دون شك باربرا كانت ستنتظر، ولكنها ابتسمت وقالت:

ـ لقد أنهيت مهمتي. وأنا مرهقة. وأرغب في النوم إلى ما لا نهاية. سأراك غداً.

ـ سأرافقك إلى غرفتك، إنها قريبة من غرفتي.

ـ لا بأس يا ستيفن، ارتح وانهي شرب قهوتك.

وأغلقت باب الجناح خلفها بهدوء، والتفتت لتشاهد جايمس قادماً عبر الممر. وأخذ يدها بين يديه.

ـ هل تشعرين كما أشعر؟

ـ الهذه الدرجة؟ ما رأيك بما قمت به، جيد؟

ـ جيد جداً. شكراً لبقائك... لقد جعلتي كل شيء سهلاً.

قال هذا بصدق حتى أن ساندرا شعرت بالاعتزاز. واخذها بين ذراعيه، ولم تعترض... وتمتم لها:

ـ حان وقت النوم... سأراك غداً.

وأخذ منها المفتاح وفتح الباب فقالت بنعومة:

ـ تصبح على خير يا جايمس.

وأغلقت الباب وراءها، واستندت عليه، مغلقة عينيها وهي تتنفس بعمق. إنها تحبه، لرقّته، واهتمامه، واحترامه لها.

ـ أمسية قاسية؟

وأضاء المصباح قرب السرير، وصدرت عن شفتي ساندرا صرخة صغيرة.

ـ جان بيار! ما.. ماذا تفعل هنا؟

ـ لأعيد لك المفتاح. لقد تركتيه على الصوفا عندي.

ودون أن تدري لماذا، فإن الصدمة لوجوده في غرفتها لم تتلاشى بسرعة. واستمر قلبها بالخفقان.

ـ كان بإمكانك أن تتركه عند موظف الاستعلامات.

كان بإمكانه الاتصال، كان يمكن أن يفعل عدة أشياء. ولكنه لم يفعل. وهو الآن هنا، وهي لا تريد هذا.

وبلّلت شفتيها بلسانها بقلق، وهي تعاود خلع حذاءها. لا يجب أن تكون خائفة. كانت تشعر بأنها مذنبة، ولكن ليست خائفة.

ـ لم نستطع التحدث عندما كانت سارة معنا، ففكرت أن أعيد المفتاح وأراك ثانية.

كان يجلس على حافة السرير، يبتسم لها تلك الابتسامة الطفولية التي كانت مألوفة لها في الماضي. والتوتر الذي لاحظته على وجهه في وقت مبكر قد زال. وبدا أقرب إلى ما كان عليه في الماضي.

وابتسمت له ساندرا، وتركت التوتر يغادرها.. من البلاهة أن تخاف منه.

ـ هل ترغب ببعض القهوة؟

وتناولت الهاتف وطلبت قهوة لاثنين. كان هذا آخر شيء قد ترغب به هذه الليلة، ولكن، وبشكل غريب، أحسّت بأنها ستكون مرتاحة أكثر لو أن أحدهم دخل الغرفة الآن.

ـ شكراً لقدومك لرؤيتي يا ساندرا.

ووضع رأسه على يده، وأسند كوعه إلى ركبته، ناظراً الى السجادة. وجلست ساندرا بقربه، وأخذت يده بين يديها:

ـ أوه.. جان بيار.. أنت تمر بوقت سيء حقاً، أليس كذلك؟

ـ هذا اضعف تصريح لهذه السنة.

ـ ولكن يا جان بيار... لقد كان كل شيء يبشّر بمستقبل زاهر لك في المدرسة. لقد كنت واحداً من ألمع وأكثر التلاميذ موهبة... فماذا حدث لك؟ أكره أن اقول لك هذا، ولكن عملك الآن ليس كما كان.

فاستدار إليها وابتسم:

ـ وانت كنت لامعة أيضاً يا ساندرا.. لقد تحطم كل شيء عندما عدت إلى فرنسا، لقد افتقدت أخي، ووفاته حطّمت قلب أمي. ودفن والدي نفسه في العمل. وأتيت إلى باريس أملاً في أن أعمل في الفن التجاري، ولكن دون فائدة.

ـ ولماذا لم تعد إلى المدرسة في انكلترا؟

ـ لم أستطع تحمّل المصاريف. لقد كان والدي يدفع مصاريفي من قبل، ولكن بعد وفاة شقيقي لم يعد يهتم.

ـ ولكن كيف تعيش؟ هل تتمكن من جني المال من لوحاتك؟

ـ الأمر ليس سيئاً خلال الصيف. فهناك سواح يرغبون في الشراء. وفي الشتاء أعمل في المقاهي، أغسل الصحون، وأحياناً أخدم الزبائن.

ووصلت القهوة. فصبت ساندرا فنجانين، وأعطت جان بيار واحداً. فأخذه بأصابع مرتجفة. ولاحظت أنه قد قضم أظافره.

ـ اوه يا جان بيار أتمنى أن يكون هناك ما أساعدك به. ربما إذا باعت سارة لوحاتك قد تصبح معروفاً، لديها بعض الزبائن الأثرياء.

ـ أحوالك ليست سيئة.

وأشار إلى ما يحيط بهما ولاحظت المرارة في صوته. وحدقت بعينيه، إنها الآن مقتنعة بأنه يتناول نوعاً من المخدرات. لقد شكّت بالأمر هذا الصباح ولكنها لم ترد أن تقبل بهذه الشكوك، ولكنها الآن تشعر بالشفقة عليه.

ـ لقد شرحت لك، أنا هنا بالصدفة. فهذه ليست طريقتي في الحياة يا جان بيار. إنها حياة شقيقتي، وليست لي.

ـ أجل.. حسناً.. الأفضل أن أذهب.. لديك أعمال أفضل من ان تستمعي لقصص سوء حظي. ربما سنلتقي صدفة مرة أخرى.

ـ جان بيار... انظر... لا تكن يائساً هكذا، أرغب في مساعدتك لو استطعت. وأريد أن أراك قبل أن أسافر. ربما نتناول الغداء معاً.

ـ لا أعتقد هذا.. لديّ أعمال كثيرة... ولكن... ربما... ربما.. أجل... سأحبّ هذا.

ودس يده في جيبه وأخرج قطعة ورق وقلم. وكتب عنوان مقهى في حي مونتماتر.

- يوم الثلاثاء... سأكون هناك حوالي الثامنة مساء.

وأمسك بيد ساندرا!

- شكراً لكونك صديقة طيبة يا ساندرا... سنتكلم المزيد في المقهى.

وحاولت ساندرا الاحتجاج، فالأمسيات كلها مشغولة، ولكنها لم تستطع الكلام قبل أن يصل إلى الباب.. هل تستطيع أن تعتذر لجايمس، وتتملص من تلك الحفلة؟ فجان بيار يحتاجها كثيراً. وفتحت له الباب، فوقف قليلاً، ونظر إليها والرجاء يغمر عينيه. ولمست وجهه بأصبعها بحنان، فأمسك بيدها، وأغلق عينيه للحظات وكأنما يشكر ربه على ظهورها ثانية في حياته، ثم ابتسم لها وسار مبتعداً، وأغلقت ساندرا الباب برفق وراءها والدموع تترقرق في عينيها.

وفي لحظات فتح الباب بقوة، واستدارت ساندرا، معتقدة أن جان بيار قد عاد... وخفق قلبها بقوة لرؤية جايمس الغاضب أمامها.

- موقف مؤثر جداً! ولم أكن لأعرف به لولا أن خرجت من جناحي للحظات... وماذا رأيت... شخص مغفل يخرج من غرفتك. هل هو الفنان؟ وما هذا؟

ومدّ يده ليمسح دمعة عن وجهها، وقال ساخراً:

- الفراق يبعث على الحزن.

- الأمر ليس كما تظن.

وانتقلت نظراته إلى فنجاني القهوة، وإلى الأثر الذي تركه جان بيار على الفراش عندما كان ينتظرها.

- يا للجحيم.. كان من الصعب عليك الانتظار لتتخلصي مني..

ليس كذلك؟ ولك الجرأة كي تأتي به إلى غرفتك؟...

- أنا لم آتي به إلى غرفتي.. لقد أعاد إليّ مفتاحي...

وأمسك جايمس بذراعها بقوة.

- أي مفتاح؟ عن ماذا تتكلمين؟

- لقد نسيت مفتاحي عنده في المرسم...

- وهكذا استطاع الدخول وأنت غائبة...

- لا! أنا لم أعطه المفتاح... لقد أضعته. ولم يكن لديّ أدنى فكرة بأنه سيأتي إلى هنا. ولم أطلب منه...

- لقد قلت لك إنني لن أموّل غرامك المتجدد مع هذا الفنان، وأنا أعني ما أقول... لن تريه مرة ثانية، مفهوم؟ وإذا غادرت هذا الفندق للحظة واحدة لمقابلته، سأمزقكما معاً.

وسار بغضب نحو الباب... فصاحت به متحدية:

- إذاً أنا سجينة هنا.. أليس كذلك؟

واستدار على مهل، وقال بهدوء أكثر:

- لا يا ساندرا.. أنت حرة لتفعلي ما تشائين، كل شيء ما عدا أن تلتقي بمغفل حقير... هل أنا واضح في كلامي؟

- إنه صديق قديم يا جايمس. وليس حبيب لي. وأنا أقول لك الحقيقة. وأنا لم أطلب منه المجيء إلى هنا.

ولم يصدقها.. ولكن غضبه تلاشى. وبدا مرهقاً، ولكن عيناه كانتا تبديان الاحتقار لها. فتألمت ساندرا وأوشكت على البكاء.

- لقد شاهدت ما شاهدته يا ساندرا.. لقد كنتِ بين ذراعيه.

وهزت راسها بيأس:

- لقد كنت أودعه وهذا كل شيء... لقد شعرت...

- شعرت بماذا؟

وتقدم ليقف أمامها. وعضت شفتها. لن تستطيع قول الحقيقة

له، بأنها اعتقدت أن جان بيار محتاج لمساعدة، وبأنها تشعر بالأسف عليه. فقد يثير هذا سلسلة من التساؤلات لا تريد أن تجيب عليها. المخدرات.. يا للسخرية! مسكين جان بيار، لا بد أنه مدمن عليها. وهذا الرجل، اللامع أمامها، يعيش من صناعتها.

ـ لم أشعر بشيء. كانت مجرد عاطفة.

ـ كما فعلتي معي قبل الآن.

وأمسك بها قبل أن تستطيع الاحتجاج. وأحاط بها بذراعيه بقوة حتى لم تعد تستطيع المقاومة. وأحسّت بتعب كل اليوم الذي مرّ بها واندفعت الدموع من عينيها. أرادت هذا ولكن بشكل مختلف، أن لا يكون هناك جان بيار، ولا باربرا، فقط هي... وهذا الرجل. ولم تعد تحتج... فكيف تحتج وكلّ كيانها يصيح بها «نعم»؟

وعضّت شفتها من الخجل، وتراجعت قليلاً لتنظر إلى عينيه. وأمسك وجهها الصغير بين يديه وقال:

ـ هذا ليس لائقاً... أريد أن نكون معاً دون أن يقف أي شيء بيننا... وليس هكذا.. متألمين وغاضبين من بعضنا.

وأمالت رأسها على كتفه.. هل من المفترض أن تعجب بشعوره الشريف بينما هي لا تشعر بهذا؟ إنها تريده، بغض النظر عن أي شيء آخر. ولكنها تمتمت مبتعدة عنه:

ـ أجل... طبعاً.

وسمعت الباب يقفل وراءه، ولكنها لم تتحرك، لم ترغب في أن تفسد سحر شعورها بذراعيه وحرارتهما حولها. ولكن هذا واجب عليها.. لأجل الجميع...

وخلعت ملابسها ببطء وصعدت إلى السرير، ونامت فيه وكأنها حجر، لمدة ثماني ساعات.

☆ ☆ ☆

٦ ـ الأخت العزيزة

انفجرت ساندرا بالبكاء، في الصباح التالي عندما اكتشفت أمراً فظيعاً... كانت قد استيقظت لتوها، وحاولت النظر إلى الساعة التي لم تكن ترتديها في الليلة السابقة، فلم تجدها، وأسرعت تبحث عنها في حقيبتها لتجد أن كل شيء له قيمة قد اختفى منها. الساعة. وسوار ذهبي صغير، هدية من والدها، كل أموال جايمس، وأموالها، حتى بطاقة المترو المجانية.

وجلست على سريرها. وأبعدت شكوكها عن موظفي الفندق، وسرت رعدة في جسدها. لا بد أنه جان بيار. لقد شاهد أموال جايمس في حقيبتها، وكالبلهاء، قدّمت له فرصة سرقتها على طبق: لقد تركت له مفتاح غرفتها. لم يكن لديها أي سبب لعدم الثقة به أيام المدرسة، ولكنه لم يعد ذلك الشاب الذي كان، إنه صديق قد التجأ للمخدرات.

لا عجب أنه بدا مرتبكاً بشكل غريب ليلة أمس. فهو لم يكن ينتظرها عندما دخلت، ولا بد أنه سمع وقع أقدامها في الممر،

واخترع قصة إعادة المفتاح لها، ورغبته في رؤيتها ثانية، في البداية لم يكن يريد لقاءها ثانية عندما اقترحت ذلك، فقد علم بأنه سيكون تحت الشك عندما تكتشف فقدان أغراضها الثمينة...

ومسحت آخر دمعة من عينها. وتطلعت إلى العنوان الذي أعطاها إياه.. هل سيكون هناك حقاً؟ ولكن لماذا أعطاها العنوان وهو لا ينوي أن يلتقيها؟ إنها تعرف أين يسكن، وتستطيع أن تجده هناك. لا.. لديها شعور بأنه سيظهر، وأنه حقاً بحاجة لمساعدتها.

يجب عليها أن تخبر جايمس.. ولكن كيف ستقول له؟ وسوف يطلب البوليس، وهي لا تريد أن تورطه في فضيحة وسط انشغاله بأكثر المؤتمرات أهمية له في أعماله.

ذلك المساء، فعلت كل ما في طاقتها لتظهر بشكل حسن، ومع ذلك لم تسمع أي إطراء من جايمس. وهمس لها وهما يخرجان إلى السيارة بعيداً عن مسامع ستيفن:

ـ تعجبيني بهذا اللون الفاتح الناعم. إنه يجعلك تبدين بريئة.

وتمتمت:

ـ ولكنني فعلاً بريئة..

ـ ساندرا أنا آسف لما حدث ليلة أمس.. فليس لي حق عليك. هل هذا كثير عليك؟ أنت تبدين شاحبة.

صوته كان مليئاً بالاهتمام العميق.. وقوله انه لاحقّ له عليها آلمها، ولكنها شعرت بأنها أنانية جداً للتفكير بنفسها، وبجان بيار في مثل هذه الساعة. فجايمس كوريللي هو من يجب أن تهتم به.. فهو لم يسرق اشياءها، ولم يلجأ إلى المخدرات... وابتسمت لجايمس وقالت له مطمئنة:

ـ أنا بخير.. وفي الواقع أستطيع القول إنني أتمتع بما أنا فيه. كنت أعتقد أن حفلات الكوكتيل هذه، والاجتماعات الطبية ستكون

مصدر إزعاج لي، ولكن الجميع كانوا لطفاء معي.

وصمت ستيفن قليلاً ليلفت الانتباه له وقال:

ـ جايمس، أعتقد أننا يجب أن نثبت ساندرا في ملاك الموظفين هي تملك مقدرة رائعة بإراحة الناس. ولقد لاحظت ان هوارد ميللر كان يبتسم خلال العشاء أمس.

وضحك الجميع.. لأن ستيفن كان قد حذّرها سابقاً من أن عالم الكيمياء من هامبورغ مشهور بأخلاقه الشرسة. ومع ذلك، فخلال حديثه معها سقط قناعه عن وجهه وبرز الرجل المرح، أمام دهشة الجميع. وقال لها جايمس:

ـ حقاً يا ساندرا... إذا كنت منزعجة فقولي.

ـ لا تقلق. أنا بخير صدّقني!

وعضت شفتها في الظلام. لقد فاتتها الفرصة هنا. كان ممكناً أن تحجج بالإرهاق، وتتسلل من الفندق للقاء جان بيار. ولكنها وجدت نفسها موزعة بين ولائين: قلقها على صديقها القديم وواجبها تجاه جايمس. وجايمس جعل الخيار عليها صعباً، فخلال تناول الغداء لم يترك جانبها لحظة، وعندما علّق ستيفن على هذا... كان رد جايمس:

ـ لو كان لديك خيار بين صحبة ساندرا والأبهة الاحتفالية المجتمعة هنا اليوم، فأي منها تختار يا ستيفن؟

فضحك ستيفن وقرص ذراع ساندرا قرصة مداعبة ورفض أن يعلّق.

وتمنّت ساندرا أن تتمتع بهذا الاهتمام الذي يغدقه عليها جايمس، ولكن الأمر كان مستحيلاً. فخيانة جان بيار لها استمرت في السيطرة على تفكيرها. أملها الوحيد انحصر في أن تتمكن من الابتسام بشجاعة وأن تستمر في عملها وكأن شيئاً لم يحدث.

ـ واستيقظت في الصباح التالي وقد امتلكها صداع أليم للجهود التي بذلتها. أعصابها كانت مشدودة كالكرة. فعند عودتهم ليلة أمس إلى الفندق أرادت أن ترمي بنفسها بين ذراعي جايمس لتخبره بكل شيء، ولكن بسبب وجود ستيفن لم تفعل. بعدها استدعي جايمس على عجل، ورافقها ستيفن إلى غرفتها.

واليوم، لن ترى جايمس قبل المساء، فهذا الصباح سوف يخرج ستيفن لزيارة مختبر أدوية جديد في ضواحي باريس. وبعد الظهر لديه اجتماع لمدة ساعتين مع بول برادشو.. ومضى النهار ببطء عليها. كانت تعلم أنها يجب أن تخرج... فقد أصبح جو الفندق وهي لوحدها لا يطاق.

وخفّ الألم في رأسها قليلاً، وهي تخطو خارج الفندق تحت شمس باريس الدافئة. دون مال، لن تستطيع الابتعاد. والفندق لا يبعد كثيراً عن برج ايفل. وتوجهت ساندرا نحو ساحة «شامب دومارس» التي تمتد تحت البرج. كان هناك مئات السواح يتجولون هناك، ولكن ساندرا لم تشعر بالوحدة هكذا من قبل، وفكّرت في أن تذهب سيراً إلى مرسم جان بيار، وبنظرة سريعة إلى الخريطة السياحية معها، أبعدت هذه الفكرة، فالمكان بعيد عدة أميال. والمقهى الذي أعطاها عنوانه أقرب لها، وتستطيع الوصول إليه.. ولكن ما الحذر الذي ستقوله لجايمس؟

ـ هل قمت ببعض الرسم.

وأجفلت ساندرا لسماعها هذا الكلام، وهي تقطع مدخل الفندق، والتفتت ثم ابتسمت بارتياح لستيفن.

ـ لا.. لم أفعل هذا الصباح. ولكنني ذاهبة بعد الظهر الى سوق أهم من الرسم.

ـ إذاً يجب أن تتناولي الغداء معي قبل ذهابك.

واتجهت ساندرا معه نحو المطعم وهي تشعر بالسعادة.

ـ كيف كانت الزيارة للمختبر الجديد؟ أهو مثير للاهتمام؟

ما أرادت أن تعرفه حقاً، هو هل عاد جايمس معه. ولكنها كانت قد تعلّمت أن لا تظهر اهتمامها به كثيراً أمام ستيفن. فهو كما يبدو، عنده حاسة غريبة لالتقاط المشاعر العاطفية، وقد ضبطته عدة مرات يحدق بها وبجايمس باهتمام.

ـ لم أذهب.. لقد كان أمامي أعمال مكتبية كثيرة وعدة مكالمات وأقفلت على نفسي الجناح طوال الصباح، إلى أن جرني الجوع إلى المطعم.

وكان الغذاء لذيذاً، وصحبة ستيفن سهلة وودية. وأخبرها عن صراع القوة بين المؤسسات المهتمة بشراء «يونيمت» وجعل الأمر يبدو مثيراً لدرجة أن ساندرا وجدت نفسها تسأل وتفهم الرد فعلاً.

ـ إذاً اللقاء مع برادشو بعد الظهر أمر مهم حقاً؟

ـ مهم جداً.. ولو كان العقار ناجحاً سيجد جايمس نفسه في وضع قوي ليتقدم بعرض لليونيمت، ولن يوقفه شيء!

ـ سأبقي أصابعي متشابكة، أصلي لكما.. وهكذا فإما أن نحتفل هذه الليلة وإما أن نقضيها بحزن.

ـ أتمنى أن يكون الأمر بهذه البساطة. فهذه اللقاءات قد تستمر لأسابيع.. واليونيمت شركة أميركية، وقد تستمر المفاوضات فيما وراء الاطلسي. ولقاؤه بعد الظهر سيقرر ما إذا كانت الاجتماعات ستتابع. ومهما كانت النتيجة، فقد دعا جايمس بول برادشو وزوجته للعشاء هذه الليلة...

وتنفست ساندرا الصعداء.. إذاً فهي حرة هذا المساء. وتابع ستيفن قائلاً:

ـ ستكونون أنتم الأربعة فقط.

وأعاد هذا الكلام ضغط الدم إلى الارتفاع عند ساندرا.

ـ لا تبدي قلقة هكذا.. أنت تعرفينه.

ولم تستطع ساندرا إلا أن تضحك. فستيفن مرح، ولكن قلبها أصبح في صدرها كقطعة حجر. كيف تستطيع التخلص من هذا الوضع؟ ادّعاء المرض هو الطريق الوحيد.

وبحثت الفكرة في ذهنها وهي تسير نحو السوق. على بعد عدة شوارع من الفندق. وتوصلت إلى نتيجة حتمية بأن جيمس يأتي بالدرجة الأولى من الأهمية، فليس هناك أي مجال لأن تخذله. ليس هذه الليلة من بين كل الليالي. ويجب عليها أن تنسى أمر جان بيار، وقبل أن تعود إلى لندن ستقول لجايمس الحقيقة لأن أمواله تقلقها، وتمنت لو أنه استرجعها عندما رفضتها أول الأمر.

وأحزنها هذا القرار، بطريقة ما، لأنها لن تتمكن من مساعدة جان بيار.

وارتفعت معنوياتها قليلاً، عندما وصلت السوق فالجو كان مؤثراً وهذه المرة رسمت الساحات الملونة والباعة الصاخبين وناسب كل هذا ذوقها الفني أكثر بكثير من الحدائق الرسمية تحت البرج. والناس هنا باريسيون، وليسوا سواح، ورسمت ساندرا بسرعة وحماس.

باريس تحب الفنان، والجميع هنا أحب ساندرا. وتبادلت الضحكات والأحاديث مع الناس. وتبادلت التفاح والجوز مع الباعة مقابل رسماتها.

وضحكت ساندرا كثيراً، واحتارت كثيراً. فهي كادت أن تقسم بأنها شاهدت ستيفن عدة مرات وأنها نادته مرة، ولكن الرجل لم ينتظر نداءها وتوارى عن الأنظار. وأقسمت أن لا تأكل الطعام البحري بعد الآن للغداء. لا بد أنها تهذي!

وعادت إلى الفندق وهي تشعر بالتعب، ولكن على الأقل كانت أعصابها هادئة.. لفترة ما.

وشهقت عندما دخلت غرفتها، وأوقعت أوراق الرسم وحقيبتها تحت قدميها بفزع وهي تقول:

ـ باربرا!

ـ أجل.. باربرا!

جاءها الرد الحادّ وكأنه انطلق من فوهة بندقية.

ـ هذا المكان يبدو في فوضى وكأنه «حصن نوكس» وما دفعك بحق السماء لأن تحجزي هنا باسمي؟ لقد أمضيت وقتاً كالجحيم وأنا أحاول إقناعهم بأنني باربرا كايسي!

ـ لقد كان هناك ازدحام على مكتب الحجز عندما وصلت. وظنوا أنني أنت، وتركت الأمر هكذا بكل بساطة، فلم أظن أن الأمر مهم.

ـ حمقاء! بالطبع مهم!

واستدارت باربرا، وأخرجت علبة ماكياجها، ووضعتها على طاولة الزينة بعد أن أزاحت أغراض ساندرا، وتابعت الكلام:

ـ لو حدث هنا حريق لدفنوا بقايا باربرا كايسي، وليس بقايا ساندرا كايسي!

ـ يا للتفاهة! وهذا سيدمّر حياتك، أليس كذلك؟

ـ هذا ليس مزاحاً يا ساندرا. فهناك إجراءات يجب اتّباعها في مثل هذه الفنادق.

وتنهدت ساندرا، ثم التقطت أوراق الرسم والحقيبة، لا يمكن أن تكسب شيئاً من باربرا...

ـ أنا آسفة.

مع أنها لم تكن آسفة. ونظرت إلى قدم باربرا المربوطة..

ـ كيف حال قدمك؟ كنت أظن أنهم سيضعون لك الجفصين حولها.

ولم يهدىء الاعتذار من ثورة باربرا، فهدرت وكأنها قطار الديزل.

ـ لم أستطع التحرك بالجفصين، فأقنعتهم أن الرباطات أسلم لي. وقد أصبح مقعدة في أواخر أيامي ولكن الفضل سيكون لك، أليس كذلك؟

ـ أنا؟.. وكيف يمكن أن تكون غلطتي؟

واستوت باربرا في جلستها ونظرت إليها بوحشية:

ـ لأنني اضطررت أن آتي إلى هنا، أليس كذلك؟ لقد صرفت نفسي من المستشفى على مسؤوليتي لأكتشف ما قد تكوني سببته من فوضى، واول ما وجدته أنك زورتي في سجلات الفندق. الله وحده يعلم ما هي الأعمال الشريرة الأخرى التي قمتي بها. ولا أعلم أبداً ما الذي اقنع جايمس باستبقائك. هناك شيء ما يجري هنا ولا يعجبني أبداً!

وأمسكت حقيبتها وأغلقتها بقوة ثم رمتها إلى داخل الخزانة. ووقفت ساندرا في منتصف الغرفة تراقبها بعينيها الخضراوين، وهي تكبح غضبها.

ـ ليس هناك شيء يجري هنا يا باربرا، وإذا كنت قلقة بخصوص تصرفاتي فأقترح عليك بحث الأمر مع جايمس نفسه.

ـ لدي كل النية أن أفعل هذا تماماً.

وبكل أناقة وكبرياء خطت نحو الباب. فقالت ساندرا ناصحة:

ـ لن أذهب الآن لو كنت في مكانك. إنه في اجتماع مع بول برادشو ولا يرغب في أن يزعجه أحد.

وافترضت ساندرا أن الاجتماع لا بد أن يكون متوتراً، وأن آخر

شيء قد يرغب به جايمس هو وجود باربرا.

ـ يا إلهي يا ساندرا. هلى وصلت إلى هذه الدرجة في أعماله!

ـ انظري، أنا أفكر فقط بك وبوظيفتك يا باربرا. وأنت تعلمين التوتر الذي يعانيه. ودعيني أذكرك أن فكرة قدومي إلى هنا هي فكرتك..

ـ لم أرسلك لتستولي على وظيفتي.

ـ أنا لم أفعل هذا. لقد طلب مني جايمس أن أساعده، وهكذا فعلت.

ـ حسناً مساعدتك لم نعد بحاجة إليها يا شقيقتي العزيزة. فأنا هنا الآن وأنت أصبحت مهملة.

ومزقت كلماتها ساندرا، إنها على حق، جايمس لن يحتاجها بعد الآن. وجلست على حافة السرير. إنها غبية عندما اعتقدت أن هناك شيئاً يربطها به، ولكنها لم تستطع نسيان عناقه لها، ولم تستطع إقناع نفسها بأنه لم يعد يرغب بها. ولكن باربرا هنا الآن. ولباربرا الأفضلية.

ـ أنت على حق.. ولكن ماذا بشأن هذه الليلة؟ من المفترض أن أتناول العشاء مع جايمس وبول برادشو وزوجته.

ـ يا الهي.. لقد وصلت في وقت مناسب. أنت وبرادشو؟ لا بد أن جايمس مجنون.

وكادت ساندرا أن تبكي، ولكنها لن تدع باربرا تعلم كم جرحتها..

وصاحت عندما شاهدت باربرا تخرج من الحمّام وهي تحمل أغراضها:

ـ باربرا! ماذا تفعلين؟

ـ أحضّر لك أغراضك. هناك طائرتان هذا المساء إلى لندن.

وسأتأكد من حصولك على مقعد على إحداهما.

وتابعت تجميع أغراض ساندرا من الخزانة. ولاحظت ساندرا برعب أثواب باربرا معلّقة في الخزانة بكل ترتيب. لقد انتهى الأمر فعلاً، حمى باريس، وحبها المستحيل لجايمس كوريللي.

- ولكنني لا أستطيع السفر الليلة!

ووقفت على قدميها، لن تستطيع السفر دون رؤية جايمس.

- ولماذا لا؟ فالآن وقت مناسب كما بقية الأوقات. وأنا متأكدة تماماً أن جايمس لن يريدك هنا بين أقدام الجميع.

وتدخل القدر لصالحها. ولم تجد باربرا مقعد لها قبل صباح الغد. وغرقت ملامح باربرا الجميلة في خيبة أمل مريرة، وبرزت على وجهها نظرة أزعجت ساندرا فقطعت الغرفة لتقف أمام النافذة.. لماذا لم تدرك الأمر من قبل؟ ولماذا لم تفهم سبب إصرار باربرا على الخلاص منها؟ إنها تغار، وغير واثقة من مدى علاقتها بجايمس، حتى أنها ترتاب في أن ساندرا تحاول الحلول مكانها. وهي ليست قلقة من أن تسيء ساندرا لوظيفتها، إنها مذعورة من أن تنقلب عاطفة جايمس نحو ساندرا. وهل حدث هذا فعلاً عندما لم تكن باربرا موجودة؟.. ممكن جداً.

والتقطت باربرا الهاتف ثانية.

- ماذا تفعلين الآن؟

- أحاول أن أحجز لك غرفة أخرى. فلن نستطيع المشاركة بهذه.

- أستخدمي عقلك يا باربرا.. الفندق مليء بالناس المشاركين في المؤتمر، ولن تستطيعي إدخال سمكة سردين صغيرة حتى ولو حاولتي.

- أوكي، يا ذكية.. ربما أنت على حق. عليّ أن أنتقل إذاً إلى

جناح جايمس..

واستدارت ساندرا ببطء نحو شقيقتها، وعلمت بالتأكيد أن ظنونها بغيرتها كانت في محلها، فآخر ملاحظة قيلت وشيء واحد في ذهنها: لتذكير ساندرا أن باربرا لوحدها من لها مكان في قلب جايمس.

وحدقتا ببعضهما عبر الغرفة، وعلمت ساندرا كم تكرهها شقيقتها... لقد لامتها في البداية لأخذها كل حب والديها، والآن هي تعتقد بأنها قد أخذت منها حبيبها، ما عدا أنها لم تفعل. لقد حلمت بالأمر فقط، ولكن لو قارب هذا الحلم من الحقيقة، فهل كانت ستمضي قدماً في تحقيقه؟ فتترك جايمس يحبها كما تتألم هي بحبه؟ إنها تشك في هذا... ففي آخر لحظة سيصرخ قلبها وضميرها... باربرا!

باربرا كانت جميلة جداً حتى في غضبها. جسدها، والطريقة التي تختار بها ملابسها كانت تبلغ الكمال، ونظرت إلى ثوب أختها الحريري الاسود وهو ملقى بكل عناية على المقعد، وأدركت أن ثوبها الأصفر المتكور تحت الوسادة، لا يماثله في الجمال أبداً، وسينظر جايمس نظرة واحدة إلى باربرا وسينسى وجود ساندرا بالكامل.

ونظرت باربرا، بنفاذ صبر، إلى ساعتها. ونظرت إلى نفسها بإعجاب في المرآة وقالت:

- لا بد أنه انتهى من لقاء برادشو الآن، وإذا لم يكن قد انتهى فيجب عليه أن ينهيه. فقد تأخر الوقت، وهناك أشياء يجب تحضيرها.

وتنفست ساندرا الصعداء بعد أن خرجت باربرا. ربما من الأفضل أن تنتقل لجناح جايمس. فلن تستطيع تحمّل دقيقة أخرى برفقتها وعضت على الألم من التفكير بهما معاً في ذلك الجناح الأنيق. لقد انتهى كل شيء.. وأصبح حبها لجايمس محطماً. ودخلت إلى الحمام لتغتسل. وعندها انهمرت دموعها، دموعها على

فقدان حبها المبؤوس منه.

ولدهشتها، عادت باربرا إلى غرفة النوم بعد قليل وقالت:

ـ يبدو أنني يجب أن أتحمّل عذاب البقاء معك هنا. فقد أبلغني جايمس آسفاً أن ستيفن يشغل الغرفة الأخرى في الجناح.

ومدت ساندرا يدها المبللة بالماء الساخن، وهي غارقة في المغطس. لتمنع صيحة سعادة كادت أن تخرج منها، فهي تعلم أنه كذّب عليها.. جايمس كذّب عليها! ستيفن لديه غرفة على بعد خطوات من غرفتها... إذاً جايمس لا يريد أن تقيم باربرا في جناحه!

ـ تحركي يا ساندرا.. أنت لست ذاهبة إلى أي مكان، لذا انتهي من حمامك، عليّ أن أسرع لأستعدّ.

وخرجت ساندرا من الحمام دون أن تكمل استحمامها، ولفّت نفسها بمنشفة، ووقفت وهي تقطر ماءاً عند الباب.

ـ أعتقد.. أنه كان مسروراً لرؤيتك؟

ـ كثيراً... ولكن يجب أن أقول بأنه يبدو مرهقاً.. لقد قلت له أن يرتاح قليلاً، ولا أعتقد أنه سيستمع لنصيحتي. فالرجل ديناميو بشري، وآمل أن أستطيع حمل بعض التوتر عنه بما أنني الآن هنا. إنه رجل رائع.. أليس كذلك؟

وأنت عاهرة كبيرة، مع حرف عين كبير، وعادت ساندرا الى الحمام لتجفّف نفسها جيداً. فجايمس قد يكون كذّب بخصوص غرفة النوم، ولكنه استقبل عودة باربرا بذراعين مفتوحين، ومن الواضح أنها عادت لتلعب دورها كسكرتيرة ممتازة، وسترافقه على العشاء مع آل برادشو.. حسناً، هناك شيء واحد جيد برز من كل هذه الفوضى المؤلمة: لقد أصبحت حرة الآن لتقابل جان بيار كما هو مقرر. وسوف تخصص كل اهتمامها لمساعدته.

فيما بعد، بينما كانت ساندرا ترتدي ثيابها، صاحت بها باربرا متحدية:

ـ أين أنت ذاهبة بحق الجحيم؟

ـ إلى الخارج.

الغرفة كانت مليئة بعطر شقيقتها الفاخر، وفستان سهرتها الرائع مفرود على السرير، يعطي إهانة لمظهر ساندرا البسيط.

ـ أستطيع أن أرى أنك ذاهبة إلى الخارج.. ولكن إلى أين ومع من؟

ـ لأتناول القهوة فقط، لقد التقيت بصديقة من أيام الدراسة لم أكن أعتقد بأنني سأراها ثانية، لذلك اتصلت بها عندما كنتي مع جايمس.. وسوف نتعشى معاً الليلة.

جزء من كلامها كان صحيحاً، بعض التحريف، وهذا كل شيء فلا سبب يدعو باربرا لتعرف أن من ستقابله صديق وليس صديقة.

ـ ربما يكون بعيداً عند الصدفة لقاؤك هذا مع صديقة قديمة في باريس، أليس كذلك؟

ـ لقد حدثت أشياء أغرب من هذا يا باربرا.

كانت الأمسية دافئة والسير غير متعب. كان المكان بعيداً ولكن ساندرا كانت سعيدة بتمرين ساقيها، ولتعيد الصفاء الى أفكارها، كما أملت. لم يكن هناك ما تستطيع فعله بخصوص جايمس سوى محاولة التعايش مع الألم في داخلها. وأراحتها فكرة أنها ستساعد جان بيار.. وقررت أن لا تذكر سرقة أغراضها، فلا فائدة من ذلك، فأملها باستعادة المسروقات ضئيل. ولكنها ستحاول حتماً أن تقنعه بأن يحصل على مساعدة طبية، فلكي يفعل ما فعل، لا بد أنه يائس جداً.

وقال لها رجل باريسي عجوز، عندما استوقفته لتسأله عن مكان المقهى.

ـ كافيه لاروشل؟ أجل أعرفها. ولكنها ليست من النوع الذي يليق بسيدة شابة أن تدخله.

ولم تندهش بأن تعلم أن المقهى سيء السمعة. فلم تكن تتوقع أن يقابلها في مكان محترم، بسبب ظروفه العاطلة. «وكافيه لاروشل» هي طرازه تماماً.

ودخلت ساندرا إلى المدخل المعتم وكادت أن تفقد شجاعتها في الحال وتخطو إلى الخارج ـ جان بيار لم يكن موجوداً هناك، ولكنها تقدمت وسألت الفتاة الجالسة إلى الصندوق، ، إنها تعرف جان بيار تماماً. والساعة تجاوزت الثامنة، وهو فعلاً يأتي عادة في مثل هذا الوقت.. وأمالت الفتاة رأسها إلى جانب وسألتها:

ـ هل أنت صديقة جان بيار الإنكليزية.. ساندرا؟

ـ أجل.. هل ترك لي رسالة؟

ـ لا رسالة. لقد ذكر بأنك قادمة، وقال إنك صديقة من انكلترا.

يبدو أن جان بيار ينوي الحضور، وجلست ساندرا قرب نافذة قذرة عليها ستائر رائحتها عفنة، وهي ترغب في الانتظار. لقد قطعت مسافة طويلة ولن تغادر على عجل لأنه تأخر. وكانت ترغب أن تتناول القهوة، ولكن لا مال معها، لذا فقد ركّزت اهتمامها على لعبة دومينو يلعبها مجموعة من الرجال المسنين على الطاولة المجاورة.

وتحركت نحو زاوية الطاولة أكثر، عندما دخل بعض الشبان والفتيات وجلسوا معها على نفس الطاولة. وأخذوا يصخبون ويضحكون، ووضع أحدهم اسطوانة «روك» في الآلة وضجّ صوت الدوي في أذنيها. وأصبح الجو ثقيلاً بدخان التبغ وقدّمت الفتاة التي بقربها سيجارة فقالت لها:

ـ لا.. لا.. شكراً لك، أنا لا أدخن.

وسارع بقية رفاقها لالتقاط لهجتها.

ـ أنت انكليزية.. أجل؟

ـ هل أنت صديقة جان بيار؟

وأجفلت للسؤال المفاجيء.. كلماتهم، مزاحهم، أنفاسهم السيئة الرائحة، تجمعت عليها، وأحسّت بمعدتها تنقلب. لقد أخطأت بالمجيء إلى هنا.. ولم يكن هناك أثر لجان بيار، وكانت خائفة جداً من أن لا يأتي أبداً، وحاولت النهوض.

ـ عليّ أن أذهب.

ـ لا.. لا..

وأمسكها الشاب بقربها وأجبرها على الجلوس.

ـ أنت جميلة جداً، فلا تتركينا.

وضحك شاب آخر.. وقال:

ـ ستبقين هنا وسنعلّمك كيف تعيشين.

ولمس وجهها بأصابعه القذرة، فتراجعت إلى الخلف مذعورة فقال:

ـ لا.. لا، شيري، لا تخافي.. لن نؤذيك. خذي، جربّي هذا.. سيجعلك تبتسمين..

ووضع كأس شراب على شفتيها، فصرخت ساندرا مذعورة، وهزت برأسها وتملكها الرعب والهلع. يجب عليها أن تخرج...

وأحسّت بمن يجذبها من الخلف بكتفيها ويسحبها فوق الطاولة. الغرفة والمجموعة على الطاولة، تسارعوا نحوها وصرخت بقوة وهي تكافح كي تخلّص نفسها.

ـ تماسكي.. بحق السماء!

وأمسكت بها الأيدي، وهي تجرجرها يمنة ويسرى، هنا وهناك، ولكن يدان فقط كانتا تمسكان بها بقوة وسيطرة وحملتاها فوق الجميع،

وأدارت ساندرا وجهها المحمّر إلى من يسحبها، وجفّ الدم في عروقها، تاركاً إياها ضعيفة ودائخة:

ـ جايمس... جايمس.. ماذا..؟

لم تكن سعيدة برؤية أحد من قبل كسعادتها الآن.. إنه ليس من يهاجمها، بل من سينقذها، على الأقل هذا ما فكرت به. إلى أن لاحظت ابيضاض وجهه ونار الغضب في عينيه، وأصبحت خائفة منه أكثر من الشبان الذين كانوا يتجاذبونها. واشتدت قبضته القاتلة حولها، وهو يجرّها بقسوة نحو الباب، حتى أنها أخذت تصرخ:

ـ جايمس أرجوك.. إنك تؤذيني إلى حد الألم!

ـ سأقتلك عندما أخرجك من هنا!

وكانت صيحته قوية وشرسة... ولم تشكّ إبداً بأنه سيفعل..

☆ ☆ ☆

٧ ـ مطرودة من الجنة!

لم يتكلم جايمس، ولم يفلت ساندرا من بين يديه إلى أن اصبحا في الخارج، في الشارع.

وقال لها أخيراً، وهو ينفض سترة السهرة التي يرتديها بكلتا يديه:

ـ لديك أصدقاء فاتنين.

وفركت ساندرا ذراعها حيث أمسكها بقساوة:

ـ إنهم ليسوا أصدقائي.. لم أرهم قط في حياتي.

ـ تبدين لي ودودة جداً.

سيارته كانت مصطفة عند منعطف قريب، والمحرك دائر بنعومة، وأمسك بذراعها وقادها إلى هناك. وفجأة ثارت ساندرا، فهي بحاجة إلى هواء نقي، لا أن تحبس في المقعد الخلفي لسيارة. وأحسّت بالإحراج وهو يجرها في الشارع.. لنفترض بأنها كانت مع جان بيار ودخل جايمس وفعل ما فعل، اقتحم المقهى، وجرها إلى الخارج، وكأنها قاصرة جاهلة؟ وسمعت صوت جايمس يعطي تعليماته للسائق كي يدور حول الساحة ويقترب منهما، ثم طلب

روايتي مترجمة

منها أن تتحرك من مكانها. . والتفتت إليه بحيرة:

ـ كيف علمت أين أنا؟ ولما لست على العشاء مع برادشو؟ وأين باربرا؟

الاسئلة خرجت منها بسرعة، ولكن دون رد. فالناس على الرصيف كانوا يمرون بهم، مجبرين جايمس أن يبتعد عنها قليلاً. ولحق بها ليمسك بذراعها، وأجبرها على قطع الرصيف، ثم إلى زاوية شارع هادىء. وسارا عدة خطوات، ثم دفعها نحو مدخل باب مظلم. وتعثرت ساندرا بالدرج، فأمسك بها ثم أصبحا بين ذراعي بعضهما.

وعانقها جايمس بقوة وقسوة حتى كاد يخنق أنفاسها، فشعرت بالدفء والأمان وهو يحميها. ومع أنها كانت محرجة، فقد أخذت تفكر بما كان سيحدث لها لو أنه لم ينقذها من ذلك المكان القذر.

ورفعت رأسها إليه لتحدثه، لكن الكلمات لم تخرج منها. وأحسّت بأن قدميها قد ضعفتا من الراحة. . . والحب.

ثم أبعدها عنه بجهد كبير، ولكنها استمرت في التعلق به، خائفة من أن تتركه. فخطا خطوة إلى الوراء. وأمسك يديها بيديه وابتسم لها ابتسامة بالكاد شاهدتها تحت نور معتم منبعث من الشارع.

ـ أنا آسفة. لم أكن أدرك ما أفعل. . أنا. . أنا سعيدة لرؤيتك.

ـ ولماذا حاولتي الهرب مني إذاً؟

ـ كنت خجلة. . . محرجة لأنك ضبطتني في ذلك المقهى.

ـ كنت تنتظرين جان بيار. . . أليس كذلك؟

ولم تستطع النظر إليه، وأخفضت نظرها نحو الأرض، ولم تجب.

ـ لقد قلت لك أن لا تريه ثانية يا ساندرا. . . وقد عصيت أوامري.

ـ كان عليّ أن أراه يا جايمس.

ـ وهل لا زلت مهتمة به.

ونظرت إليه بحدة، وقد حيرتها لهجته، وقالت ببساطة:

ـ أنه يحتاجني.

ـ أريد الحقيقة يا ساندرا. هل ما زلت تحبينه؟

ـ لا. . . لا. لم أحبه قط! أعني أنني ظننت أنني أحبه عندما كنا في المدرسة، ولكن هذا لم يكن سوى وهم. وأدركت هذا فيما بعد عندما سافر إلى فرنسا.

ـ إذاً، لماذا الآن؟ لماذا هذا الاندفاع لتجديد صداقتكما. . .

ـ انظر. . كل ما حصل ليس من صنعي. . إنها فكرة سارة. . .

ـ لم تكن فكرة سارة لاستقباله في غرفتك. أليس كذلك؟

لقد رغبتي في رؤيته ثانية، ولهذا أنت هنا الليلة. . .

ـ أجل. . لهذا أنا هنا الليلة. كان عليّ أن آتي يا جايمس. . إنه يحتاجني. . . إنه في مشكلة. . .

ـ وظننتي أن حاجته لك أكبر من حاجتي لك؟ ما كان عليّ أن أكون هنا يا ساندرا كايسي. لقد تخليت عن عشاء مع رجل مهم بالنسبة لي هذه الليلة وعرّضت مستقبل شركتي للخطر لأنني كنت خائفاً مما قد يحدث لك في هذا المكان. هل تعلمين أن مقهى «لاروشل» مشهور بترويج المخدرات؟

ـ بالطبع لا أعرف.

ـ وأعتقد أنك لا تعرفين أيضاً أن جان بيار يتعاطى المخدرات. . .

ـ طبعاً أعرف! ولهذا وافقت على مقابلته.

ـ أنت ماذا؟ أنت. . أنت. . ماذا؟

كان يهزّها بغضب ويداه تشدان بقسوة على ذراعيها، وهرب الدم من وجهها:

ـ أنت لا تظن. . . أوه جايمس، أنت لا تظن أنني أتعاطى

المخدرات أليس كذلك؟

- لا.. لا.. بالطبع لا. وأنا آسف يا ساندرا.. ولكنك صدمتيني عندما قلتي إنك تعرفين مشكلة جان بيار.. فلم أكن أعتقد أنك تعرفين.

- ولكن كيف عرفت.

- لقد أخبرتني سارة عندما أتت لتكلمني عن اللوحات. ولم أفكر بالأمر إلى أن شاهدته يخرج من غرفتك.

- لقد ظننت الأسوأ. ظننت أنني متورطة بالمخدرات؟

- لا.. لم يكن هذا ما أفكر به.

وتكور فم ساندرا من الغضب. فقد خمنّت بالضبط ما كان يفكر به.

- لست أدري ما هو الأسوأ، ظنك بي أنني أتعاطى المخدرات أم ظنك بأنني داعرة.

وحاولت الخروج من المدخل، لكنه منعها بذراعه.

- لم أفكر بكلا الأمرين يا ساندرا.. كنت قلقاً عليك، وهذا كل شيء.

- هل تعتقد أنني لا أستطيع العناية بنفسي؟

- هذه الليلة مثال واضح عن كيفية العناية بنفسك، أليس كذلك؟

- لم أكن معرّضة لأي خطر يا جايمس.. ولا يستطيع أحد إجباري على فعل شيء لا أريده... وكيف عرفت بأنني هنا؟

- عندما شاهدك ستيفن تغادرين الفندق، لحق بك لأنه علم بأنني سوف أقلق عليك. واتصل بي عندما وصلتي إلى المقهى.. وكنت أعرف أن «لاروشيل» معروف بترويج المخدرات...

- وهل لحق بي ستيفن إلى هنا؟ لقد كان يلحق بي طوال النهار أليس كذلك؟ لم أكن أتخيل إذاً، لقد كان في الساحة، وفي

السوق... هل جعلته يلحق بي؟

- كنت قلقاً...

- وكيف تجرؤ؟ كيف تجرؤ على هذا؟

- لأجل صالحك يا ساندرا!

- صالحي؟ لقد كنت تفكر في نفسك يا جايمس كوريللي؟ أنت لا تثق بي. وكل ما كنت تفكر به هو مؤتمرك اللعين وشركتك. لقد كنت خائفاً من الفضيحة. مساعدة جايمس كوريللي الصغيرة متورطة بالمخدرات...

- لا تكوني سخيفة هكذا...

- ولا تقل لي أن لا أكون سخيفة!

ودفعت ذراعه من طريقها، وخرجت إلى أنوار الشارع.

- سأعود إلى المقهى. وسأقابل شخصاً يثق بي، شخص بحاجة إليّ. ولا تحاول اللحاق بي. لا تحاول!

واستدارت وبدأت تجري، ولكنها لم تذهب بعيداً، وأمسك بها، وأدار لها ذراعها، فاستدارت اليه.

- ماذا أستطيع القول أو الفعل كي تفهمي أيتها التعسة؟ لن تعودي إلى ذلك المقهى، وانسي وجود جان بيار.

- ليس هناك من مجال!

وأمسك بيديها ووضعهما خلفها، ولم تعد تستطيع الحراك:

- سأفعل بك هذا مرة بعد مرة إلى أن تبدأي بالتصرف بشكل لائق... والآن سنعود إلى الفندق...

- لا!.. لا أستطيع يا جايمس. سأعود إلى المقهى لأنتظره أنت لا تفهم.. إنه بحاجة لمساعدتي.. لقد سرقني لأنه..

- ماذا فعل؟

ـ إنه... ليلة كان في غرفتي.. بعد أن خرج اكتشفت أنه سرق المال الذي أعطيتني إياه. أنا لم أصرف منه شيئاً. أخذه وأخذ ساعتي وسواري...

ـ يا إلهي! ولا زلت ترغبين في مساعدته؟

ـ كان هذا بمثابة صرخة للمساعدة...

وقاوم جايمس كي يمسك بغضبه.

ـ ساندرا.. لقد سرق ليغذي هوايته. فالرجل مدمن...

وبدت الأمسية كلها تطبق على ساندرا بكل الإزعاج الذي حصل لها فيها، لتجعلها غاضبة بعنف، وانفجرت قائلة:

ـ وهل تدعو نفسك طبيباً؟ إنه بحاجة لمساعدة، وليس إلى تصنيف! لقد قلت لك من قبل إن ليس لديك ذرة إنسانية. ولا تهتم بأحد سوى بنفسك. فالأدوية لك أهم كثيراً من الناس.

ـ اصمتي يا ساندرا!

ودوى صوته عالياً في سكون الشارع، وأجفلت ساندرا. إنه رجل دون مشاعر، ولم تدرِ كيف ظنت بأنها تحبه.

ـ أكرهك يا جايمس كوريللي!

وكأنها طعنت قلبه بسكين، وبدا الألم في عينيه بأكثر مما تستطيع ساندرا تحمله. ورأت كل شيء بوضوح في هذه اللحظات ورأت سبب مواجهتهما المجنونة هنا في هذا الشارع الجانبي من باريس. لا يجب أن يكون هنا، يجب أن يكون الآن مهتماً بشؤون شركته، ولكنه لم يفعل، لقد خاطر بكل شيء لمساعدتها. وفجأة لم تعد قادرة على رؤية المزيد، شحوب وجهه، والإجهاد الذي يجعل الخطوط المتوترة حول عينيه أعمق.

واستدارت، وأخذت تجري. الخجل والإذلال يدفعانها. وناداها باسمها، وكأن الاسم منتزع من قلبه، وأحسّت بساقيها فجأة لا تستطيعان الحراك، وانزلقت قدمها فوق بالوعة الشارع. وتعثرت. ووقعت فوق الشارع، وأخذت الأضواء تدور من حولها.

وأحاطها بذراعيه في المقعد الخلفي للسيارة، وهي تبكي بصوت خافت. جسدها يتألم من التوتر، وقدمها تؤلمها بشدة.. وفكرت بباربرا وما حدث لها منذ بضعة أيام... ولكن باربرا لم يكن معها جايمس ليواسيها. وحاولت أن لا تفكر بشقيقتها، ثم أحسّت بالدوار.

ـ أنا آسفة على كل ما قلته..

ـ هس...

وضغط على كتفيها، وفهمت ساندرا الرسالة، وقاد السائق السيارة عبر شوارع باريس باتجاه فندق «كليرمونت».

وساعدها جايمس للوصول إلى جناحه، الذي لم يكن فيه أحد واستلقت منهكة فوق المقعد، بينما قام بعدة اتصالات هاتفية، ثم عاد ليتفقدها.

ـ لقد التوت قدمك فقط، ولا أعتقد أن هناك عظام مكسورة.

ـ جايمس، أرجوك سامحني. لقد قلت لك أشياء قذرة الليلة.. وأنا نادمة كثيراً.

ـ لقد بدت وكأنها خارجة من قلبك.

ـ كنت غاضبة منك.. لم يبدو عليك الاهتمام بجان بيار. وأنت لا تعرفه كما أعرفه أنا. أردت مساعدته، إنه بحاجة لعلاج. إنه لا يزال حزيناً على شقيقه.. ولا يستطيع مقاومة...

وضرب جايمس بيده فوق الطاولة.

ـ لأجل الله يا ساندرا.. اتركي الأمر الآن. ولا تحاولي أن تعطيني

درساً حول امر لا تعرفين عنه الكثير. تستطيعين مساعدة الشخص إذا كان هو يريد أن يساعد نفسه. هل تفهمين هذا؟

ـ أجل.. بالطبع أفهم، ولكن أترى، بطريقة ما كان يطلب المساعدة والسرقة كانت كصرخة للمساعدة.

ـ لقد سرق ليشتري المخدرات يا ساندرا. ولم يفكر بك أبداً. وإذا كان يريد المساعدة فهو قادر على أن يدخل أي مركز من المراكز العديدة في باريس ويطلب المساعدة.

ـ ربما...

ـ توقفي عن هذا يا ساندرا قبل أن أفقد أعصابي.

ـ أردت المساعدة فقط.

ـ إذا كنت تريدين تمثيل دور ملاك الرحمة، فسآخذك إلى مركز والدي الطبي في انكلترا وتستطيعين مواساة من ليس أمامهم فرصة للحياة.

وأحسّت بمعدتها تتلوى، فأسرعت إلى الحمام، وأصبح جايمس فوراً وراءها ليمسك رأسها وهي تتقيأ.

ـ أنا آسفة.. أوه يا جايمس.

ـ وأنا آسف أيضا يا ساندرا.. لقد كنت قاسياً عليك الليلة ولكنك أحياناً عنيدة جداً. تمسكي بحافة المغسلة، وسأجلب لك بعض الماء لتشربيه.

وعاد إليها، وأمسك بها وهي تغسل فمها وتنظف أسنانها وجلسته على كرسي الحمام ونظرت إليه وهو يغسّل وجهها.

ـ جايمس.. اخبرني ماذا حدث الليلة. لا أعني عن المقهى، بل عن برادشو وباربرا؟

وجلس على حافة المغطس.. وابتسم.

ـ باربرا؟ لقد خرجت معها إلى العشاء. لم أصدّق عندما ظهرت

اليوم. لقد لاحظت أنها تظن بأنني جننت. لقد دخلت علي وكأنها لم تكن بعيدة عني أبداً.. كنت أنتظرك أنت، ولكنها وصلت بدلاً عنك. ثم أفزعني ستيفن بإخباري أين كنت ذاهبة.. مسكين ستيفن.. لقد كان أمامه عمل كالجحيم في مراقبتك.

فضحكت ساندرا.

ـ هل عاد إلى هنا؟

ـ لقد استقل سيارة اجرة إلى المطعم لينضم إلى باربرا وبرادشو.

ـ لا يجب أن تكون معي يا جايمس.

ـ هناك أشياء تكون أهم.

واستدار إلى المغطس ووضع فيه بعض الصابون المعطر وفتح الماء، ثم حضر لها كومة مناشف. وراقبته ساندرا وقلبها يخفق بسرعة. لا بد أنه يهتم بها، لقد خاطر بكل شيء لأجلها الليلة. كان عليه ان يكون يفاوض لشراء «يونيمت» ولكنه هنا، يحضّر الحمام لمجنونة، وهو يرتدي سترة السهرة، وبأكمام مرفوعة إلى فوق الكوع.

وأحسّت بالألم من حبها له.

وقبل أن تدري ما يحدث، كان قد قلع عنها بنطلونها وكنزتها، وحملها بين ذراعيه ووضعها في الماء الساخن بعناية، وارتعدت ساندرا لملامسة الماء الدافىء لجسدها، وأمسكت بحافة المغطس لتسند نفسها. وقالت له ممازحة، تحاول تغطية خجلها أمامه:

ـ لم أشاهدك تفحص سخونة الماء بكوعك. فقد أصبح حمراء مسلوقة عندما أخرج.

ـ لن يحدث هذا.

وابتسم لها، فصرخت عندما تحرك نحو الباب.

ـ لا تتركني! لا أريد أن أبقى لوحدي.

ـ سأعود إليك بعد قليل..

وعاد إليها بعد خمس دقائق وشعره مبلّل وهو يرتدي روب الحمام، بعد أن اغتسل في الحمام الآخر. وأمسك بها بعد أن خرجت من الحمام ولفّت نفسها بمنشفة كبيرة وتمتمت له:

ـ جايمس.. أتذكر أنني قلت لك إنني أكرهك؟.. حسناً.. لقد كانت زلة لسان.. كنت أعني.. أنني أحبك.

ولم تكن واثقة من نفسها، خائفة من أن تكون قد باحت بشيء لا تستطيع أن تكون عادلة فيه. وعادت باربرا لتضغط على أفكارها وعاد الغثيان إلى معدتها. لم يكن يجب عليها أن تقول شيئاً في وقتٍ تعلم بأنه يهتم بشقيقتها، وذكرت نفسها بأنه ليس هكذا، إنه يهتم بها هي، والليلة كانت البرهان.

وقال لها، بصوت خافت، وأجش:

ـ وأنا أحبك أيضاً، يا برعم الصباح.

وتدفقت دموع السعادة الصافية من عينيها وهي تنظر إليه. فابتسم لها، وأحسّت به يحملها بسهولة ودون جهد بين ذراعيه.

وكان السرير محضّراً، ووضعها بين الأغطية الباردة، وغطاها حتى الذقن، ثم انحنى وقبّل جبينها، ثم انسحب. وكأن هذا آخر شيء يريد أن يفعله.

ـ لماذا يا جايمس؟ لماذا؟

ـ أنت بحاجة للنوم.. فنامي يا برعمتي الحبيبة، فأمامنا كل الوقت في هذه الدنيا.

وابتسمت له، إنها تحبه لأجل هذا، لاهتمامه، لحبه، لاحترامه لها. وأصبحت أجفانها ثقيلة. كم هو على حق، دائماً، يبدو أنه يعرفها أكثر فأكثر، وقد شاهد فيها الرغبة، ولكنه أحسّ بضعفها ونامت، آمنة لمعرفتها بأنه سيكون بانتظارها عندما تستيقظ.

عندما استيقظت، كانت الغرفة بالكاد مضاءة، فمها جاف وجسدها يؤلمها. وجلست على حافة السرير، ووضعت قدمها المنتوية على الأرض... لقد مر الأمر بسلام، وبتنهيدة ارتياح، وقفت وتحركت نحو النافذة، كان نور الصباح قد بدأ يظهر، ولكن لا أثر للحياة في الخارج. وأحسّت بالرعدة، ففتحت الخزانة وارتدت أحد قمصان جايمس، ولفّته جيداً حولها.

أين هو؟ وتحركت رعشة باردة فوق عمودها الفقري... هل ذهب إلى باربرا؟ وعضّت شفتها وكأنها تعاقب نفسها على هذه الأفكار. لقد قال إنه يحبها.. هي.. وليس باربرا.

وكان ينام في الغرفة الأخرى، وارتاحت لرؤيته. ووقفت عند السرير المزدوج تنظر الى ملامحه الهادئة. وتحرك وجهه حركة بسيطة عن المكان الذي يلقيه عليه، هل تحرك عندما فتحت الباب؟ هل يعلم بأنها واقفة فوقه، والإعجاب يتدفق من كل ذرة فيها؟ إنه هنا.. ألهذا السبب كذلك؟ هنا وليس مع باربرا، هنا ينتظرها...

وتحرك قليلاً، فاجفلت وهي تنظر إلى وجهه.. فضحك، ضحكة عميقة صامتة وقال:

ـ كم هي لذيذة هذه الطريقة للاستيقاظ.

ـ لم أقصد أن أوقظك.

ـ ايتها الفتاة المضحكة.. وكم تظنين أنني أستطيع التظاهر بالنوم. دعيني أنظر إلى برعم صباحي... أوه.. أجل.. أنت جميلة ونضرة كما أنت دائماً... هل نمتي جيداً؟

ـ أفضل من أي وقت.

ـ ستنامين بشكل أفضل.. إنما فيما بعد.. بعد وقت طويل.. أحبك يا زهرتي.

ـ وأنا أحبك أيضاً يا جايمس. أنت أروع من الكلمات. كم

أحبك. . . لا تتركني . لا تفقدني.

ـ أبداً. . لن أفقدك أبداً. . أنت لي إلى الأبد.

ونظرت إلى الرجل الذي تحبه وتعبده، وفكرت بانها لم تكن يوماً أسعد مما هي عليه الآن. وقال لها:

ـ هل ترغبين في شرب القهوة يا حبيبتي؟

ـ أجل.

واستلقت على فراشه، وراقبته وهو يخرج من الغرفة، وترك الباب مفتوحاً، كانت ما تزال غير مصدقة بأن جايمس يحبها. هل حلمت بكل هذا، هل تتخيل؟ لا. . إنها الحقيقة. وغمرتها السعادة، فعادت للإغفاء.

واستيقظت على صوت قرع الباب، جايمس كان قد خرج، وجاءها صوت باربرا راعداً أكثر من المعتاد.

ـ لم تعودي إلى الغرفة ليلة أمس. فهل أفهم من هذا أنك أمضيت الليل مع جايمس هنا؟

وكان صوتها يقطر بالمرارة التي تخرج من أعماق كيانها.

فشهقت قائلة:

ـ باربرا!

وهجمت باربرا على ساندرا وكأنها العنكبوت السام، يسعى لالتقاط فريسته.

ـ أيتها الساقطة! أيتها الساقطة السخيفة الصغيرة!

ـ ليس الأمر كما تعتقدين يا باربرا!

ومدّت يدها إلى قميص جايمس الذي كانت ترتديه، وقد وقع على الأرض. ووضعته فوق كتفيها.

ـ لا تطلقي علي النعوت يا باربرا! أنا لست ساقطة. . أنا وجايمس

نحب بعضنا.

وضحكت باربرا ضحكة هستيرية.

ـ لم أكن أشك أنك واقعة بحبه. . فأية امرأة لا يمكن لها إلا أن تقع؟ ولكن هو. . . يحبك؟ لا بد أنك فقدت عقلك.

ـ لقد قال. . .

ـ هل قال إنه يحبك؟ أنت لا تملكين الذكاء لو أنك صدقتيه، يا شقيقتي العزيزة. أنت بلهاء يا ساندرا. . الا تستطيعين الإدراك عندما يستغلك أحد. . ؟

ـ أنا لم أُستغل!

إنها لم تُستغل، لم تُستغل! كيف تستطيع جعل باربرا تفهم أن جايمس يحبها فعلاً؟

ـ لقد كنت حاضرة بين يديه عندما كنت أنا بعيدة عنه. وأنا أعرف جايمس كوريللي يا ساندرا. وأعلم أي نوع من النساء يحتاجه، وأنت لست هذا النوع. ألا تستطيعين رؤية الضغط عليه من جراء هذا المؤتمر؟ إنه بحاجة لي، وعندما ينتهي منك، سيحتاجني أنا. . . أنا من يريد أن يتزوجها!

ـ يتزوجك؟

وضحكت باربرا ثانية.

ـ مسكينة يا ساندرا، لا تستطيعين الفهم أليس كذلك؟ جايمس كوريللي رجل واقعي. . وماذا بإمكانك أن تقدمي له سوى بعض لحظات المتعة؟ أنت مغفلة، ولا يمكن الاعتماد عليك. وأنا أستطيع أن أعطيه كل شيء، وأكثر.

ـ أخرسي يا باربرا! لن أستمع إليك. . أنا وجايمس. . .

ـ مجرد متعة، هذا كل ما أنت بالنسبة إليه يا ساندرا. لو لم يحصل لي ذلك الحادث لكنت أنا من يرتدي هذا القميص الآن!

وأحست بقماش القميص يمزق بشرتها، يحرق لحمها بألم. وحدّقت بجنون بشقيقتها، لا تريد أن تصدق ولكنها تجد كل كلمة قالتها تبعث على الخوف والريبة في نفسها. وعضّت ساندرا على شفتها. وحاولت أن تقنع نفسها بأن باربرا مخطئة. وأرادت أن يدخل جايمس الآن مسرعاً ليقول لها بأن تخرج من هنا، ولكنه لم يدخل، فبعد ليلة حبهما تركها وذهب. وأصابتها الحقيقة بالكآبة، وحطّمت احاسيسها حتى أحسّت بالدوار في رأسها. باربرا على حق، لم تكن سوى متعة له لتريح أعصابه.

وباربرا قد عادت الآن، وهو ليس بحاجة إليها بعد، وقالت باربرا:

ـ اخرجي من هنا بكرامتك.

ووقفت ساندرا، ودون أن تقول كلمة أخرى لشقيقتها خرجت، ولكن ليس بكرامة. فقد كانت هذه أبعد فكرة عن ذهنها. وتركت باربرا وسط غرفة النوم، وغادرت الجناح، وحياتها مدمرة، وقلبها ينزف بألم...

☆ ☆ ☆

٨ ـ الحياة تستمر... ولكن!

ـ تلك الرحلة إلى باريس لم تفدك كثيراً. مضى أسبوع على عودتك ولم أشاهد ابتسامتك المشرقة التي أعرفها من قبل أن تسافري.

وابتسمت ساندر لرئيسها.. كان رالف يدفع بصناديق المشروب والمعلبات من تحت طاولة المقهى الطويلة. وكانت ساندرا تقارن عددها ونوعها مع لائحة معها. كانت هذه أول مرة يذكر لها رحلتها، ولا بد أن تذكيره لها كي تركز تفكيرها بعملها.

ـ أوه كانت مخيبة لأملي. وهذا كل شيء. لقد أوصلت حقيبة باربرا لرئيسها، وتجولت في باريس لبضعة أيام. ولأكون صادقة، أنا سعيدة بالعودة إلى حيث الحركة. فباريس ليست كما يظن البعض.

وبدأ المقهى بالامتلاء.. وتفحصت ساندرا الوجوه المبتسمة، ابتسامات زائفة، واستمعت إلى الأصوات التي تعلو... هذه هي الحركة.. أليس كذلك؟ لو أنهم فقط يعرفون ما مرّت به في

روايتي

باريس.. لقد اتهمت بأنها جاسوسة، وسُلبت أموالها على يد فنان مدمن للمخدرات، ووقعت في الحب، وتحطم قلبها وكادت أن تقتل أختها!

كانت ساندرا قد تسللت من فندق «كليرمونت» خلال نوبة هستيرية. وفي حالتها الجنونية تلك تخيلت أن جايمس كان يركض بأقصى سرعته عبر المدرج خلف طائرتها، مطالباً بإعادتها لأنه لا يطيق العيش بدونها. وكانت الدموع الحارة قد تدفقت من عينيها والطائرة تقلع في السماء.

كان عليه أن يفعل شيئاً، هكذا فكرت مئات المرات منذ ذلك الوقت. كان يمكن أن يدخل غرفتها وهي توضب ثيابها، كان يمكن أن يتصل ليقول إن باربرا مخطئة وإنه لا يحب سواها. صمته كان التأكيد بأن باربرا على حق. لقد استغلها، وكلماته التي همس بها عن الحب كانت كلها كذب. لقد أذلها كما اذلّتها أختها. إضافةً الى كل هذا، كان عليها أن تعتمد على باربرا لتحضير عودتها إلى لندن، كما استدانت منها بعض المال.

- زجاجة شراب وكوبين يا ساندرا، وابتسمي، تبدين كئيبة جداً.

وابتسمت لصاحب المقهى، وأسرعت لتحضير الزجاجة.. فتح زجاجات الشراب الفرنسي يذكرها بجايمس، ويمنعها من التفكير بكيفية رفضها لدعوة دايفد هارش:

- ماذا حول هذه الحفلة بعد انتهاء عملك؟ إنها في شقة آنا وستكون هناك المجموعة المعتادة. وأحب حقاً أن تأتي معي.

تفكيرها السليم قال لها أن تقبل دعوته، فقد تكون علاجاً لقلبها المحطم، ولترمي نفسها في أعماق الحياة، فإما أن تسبح وإما أن تغرق. وكان دايفد شخصاً لطيفاً بما فيه الكفاية، ولكن ليس

كجايمس، وقلب ساندرا لا يريد سواه، وابتسمت بعذوبة:

- آسفة يا دايفد، عليّ أن استحمّ الليلة..

- أنت واستحمامك السخيف، ألا يمكن أن تغسلي شعرك فقط كما تفعل بقية الفتيات.

وأخذ الزجاجة والكؤوس وتركها في بؤسها.

وكان بؤساً بالفعل. لم تجرّب ساندرا شيئاً مثله في حياتها. إنه عذاب وألم روحي وجسدي... كل شيء تتصل به يذكّر بجايمس، اللوحات في المعرض تذكّرها به، وكيف أنه مال فوق كتفها في ذلك المعرض في باريس لينظر إلى تلك اللوحة المائية. وكانت براعم الأزهار تتفتح في آنية الزهور على نافذة باربرا... هل يدعو باربرا ببرعم الصباح؟ بالطبع لا يفعل لأنها له أكثر من برعم. وزجاجات الشراب المحيطة بها، تذكير دائم باول لقاء بينهما عندما ظنها مجنونة لأنها لا تشرب. وفي كل مرة تفتح بها زجاجة لزبون، وكأنها تفتح الغطاء عن قلبها، لتفرغ منه دم الحياة فيها.

بعد موعد الإقفال، ساعدت صاحب المقهى في الترتيب والتنظيف. ثم خرجا معاً بسيارته الجاكوار، كان دائماً يوصلها إلى منزلها على الرغم من بعده عن طريقه، فهو أب لثلاث بنات ولن يسمح لهن بالذهاب وحدهن الى المنزل ليلاً، وما هو جيد لبناته جيد لساندرا.

- كان يجب أن تذهبي إلى الحفلة مع دايفد.

- لا يفوتك شيء.. أليس كذلك.

- لا.. لا يفوتني شيء كان يجب أن تذهبي، دايفد عابث قليلاً، ولكنه سيعاملك جيداً، وليس مثل ذلك الشاب في باريس الذي حطم قلبك.

وأغمضت ساندرا عينيها، إنها لم تقل شيئاً عما حدث لها في باريس ولكنه لا بد حزر ما حدث، فله تفكير سليم. وتمتمت:

ـ هذا ظاهر عليّ.. أليس كذلك؟

ـ أعتقد هذا. تبدين كملكة التراجيديا، وجه أبيض شاحب، عينين مبللتين بالدموع...

ولم تستطع ساندرا إلا أن تضحك.

ـ أنت تبالغ.. لا أبدو هكذا.. أليس كذلك؟

ـ تبدين مريعة.

ـ هه.. لن يأخذ مني وقتاً التخلص من كل هذا!

وضحكا معاً، ثم أصبح وجهه أكثر جدية.

ـ إذا كان هناك أي شيء أساعدك به يا ساندرا، اطلبيه فقط، وأوقف السيارة خارج منزل باربرا في الطابق الأرضي.

ـ إذا رغبتي في الحديث عن الأمر، شدي أذني، ولكن ليس كثيراً.

فالتفتت إليه، وهي على وشك البكاء.

ـ ربما يوماً ما.. الأمر مؤلم كثيراً الآن.

ومالت عليه وعانقته شاكرة وقبلت خده.

ـ شكراً لك لأنك رئيس رائع وصديق جيد.

وخرجت من السيارة وأقفلت الباب ولوّحت له وهو يبتعد. وجاءها صوت من خلفها جعلها تجفل:

ـ هل عدتي لألاعيبك؟

واستدارت بوجه شاحب، لترى جايمس يهبط درجات المنزل مقبلاً نحوها. أسبوع كامل قد غيره. بدا أنحف، وجهه شاحب، وعيناه الرماديتان محاطتان بالأسود، وليس بسببها بالتأكيد. لقد قرأت كل

شيء في الصحف، فمن باريس سافر إلى شيكاغو لمتابعة المحادثات مع «يونيمت».. لا أنه لم يفقد النوم بسببها.

ـ وماذا تعني بهذا القول؟

ولكنها كانت تعرف فقد رآها تحضن رئيسها.

ـ إنه كبير عليك قليلاً أليس كذلك؟ وأظن أن جان بيار أنسب لك.

ووقف أمامها على الرصيف. لقد تصورت هذه اللحظات، وجمعت قبضتها إلى جانبها. لقد تصورت أنهما إذا التقيا ثانية فسترمي نفسها بين ذراعيه وسيكون كل شيء بينهما على ما يرام مرة أخرى. إنه حلم ميئوس منه.

ـ إنه صاحب المحل الذي أعمل فيه.. هل كانت رحلتك ناجحة؟

كانت تتحدث معه بأدب، وكأنهما غريبان.

ـ كثيرا.. لقد وصلت الليلة، وأوصلت باربرا لتوي من المطار.

ـ أجل.. أجل.. إنك تفعل هذا. أليس كذلك؟

وبهزة عدم اكتراث من كتفيها استدارت وقالت:

ـ حسناً.. عمت مساء.

وادارها لتواجهه، عيناه قاسيتان وجامدتان.

ـ أهذا كل ما تستطيعين قوله؟ حسناً.. عمت مساء، إذاً! لقد تخليت عني يا ساندرا، تخليت عني هكذا دون تفسيرات.

ـ وهل هذا ضروري؟

كيف يمكن أن يقول هذا وهو على وشك الزواج من شقيقتها؟

ـ أنا أعرف تماماً عندما لا تعود بحاجة لي.

ـ لا أعود بحاجة لك؟

ـ عادت باربرا، فما حاجتك لي؟

ـ كل الحاجة اللعينة!

ـ أجل.. أتصور هذا!

واستدارت لتركض صاعدة الدرج واعتقدت انها لن تستطيع وضع المفتاح في القفل، كانت يداها ترتجفان كثيراً. وفتح الباب قبل أن تفعل. ووقفت باربرا تبتسم وكأن ساندرا غير موجودة، ونادت جايمس:

ـ لقد نسيت حقيبتك يا جايمس.

واغتنمت ساندرا الفرصة لتتسلل إلى الداخل، ثم رأساً إلى غرفتها. وصفقت الباب وراءها، واستندت إليه خائفة من أن تتحرك، أو تتنفس، وبعد فترة نادتها باربرا:

ـ ساندرا! لقد صنعت القهوة.. يجب أن نتحدث.

وانضمت ساندرا إلى شقيقتها على مضض، في غرفة الجلوس. ولم تكن غرفة دافئة، بل كانت باردة في أكثر الأيام دفئاً. وكانت مفروشة بأثاث عادي، ولكن دون أن يكون شيء في غير مكانه، كانت ساندرا تكره هذه الشقة. وكرهتها الآن أكثر.

ـ ساندرا.. نظراً للظروف، أعتقد من الأفضل أن تجدي مكاناً آخر لتسكني فيه.

وتناولت القهوة منها وقالت ببرود:

ـ لقد اهتممت بهذا، استأجرت شقة صغيرة عند زاوية الشارع ولكنني لن أستلمها قبل نهاية الشهر. أخشى أن يكون عليك أن تتحمليني لبضعة أيام أخرى.

وكان هذا أول ما فعلته بعد أن عادت. كان الإيجار أكبر مما تستطيع أن تدفعه، ولكنه ثمن إضافي عليها أن تدفعه لتتخلص من تحكم باربرا فيها، وقالت لها باربرا:

ـ أستطيع مساعدتك في مصاريف الانتقال.

وأدهشها هذا، ونظرت إلى باربرا الجالسة على حافة المقعد

وصُدمت لرؤية خطوط التوتر حول عينيها. وللمرة الأولى لم تظهر باربرا ومحنكة، بل للغرابة، وعلى الرغم من تعبها، بدت أصغر. وأكثر قابلية للانكسار.

وأشاحت ساندرا بنظرها عنها، لأن شيئاً غريباً تحرك في داخلها. يجب أن تشعر بالكراهية لشقيقة سوف تتزوج الرجل الذي تحبه، ولكنها لم تشعر بالكراهية. بل فكرّت أن عليها أن تشعر بالأسف عليها.. لأنها تحب رجلاً من صنف معين مثل جايمس كوريللي، فهذا ليس سهلاً، ولكن لا يمكن الشعور بالأسف على امرأة مثل باربرا.

وأربكها هذا الشعور المختلط، ولإخفاء ارتباكها، أحسّت بالأسف على نفسها، فهي الخاسرة من كل ما جرى. ووضعت فنجان القهوة ووقفت قائلة:

ـ سأذهب إلى النوم الآن.

وما إن بلغت باب الغرفة حتى شعرت وكأن سكيناً قد انغرز في قلبها لسماعها كلمات شقيقتها:

ـ لقد فعلت الشيء الصائب يا ساندرا، لقد نفدت بجلدك قبل أن يفوت الأوان... وأتمنى لو كان عندي الشجاعة لافعل مثلك.

ولا حاجة للسؤال عما تقصده.

ولم تستطع ساندرا النوم تلك الليلة من التفكير بما قالته باربرا، فهي لم تبدو أبداً كامرأة واثقة من نفسها بعد استعادتها لحبيبها، بل بدت حزينة ونادمة، وكأن المعركة لم تكن تستأهل كل هذا، ولكن باربرا بدت واثقة من أنها ستتزوجه، فلماذا لا تبدو سعيدة؟ وعاد الأمل إلى الانبعاث في قلب ساندرا من جديد، ربما يكون جايمس يحبها هي فعلاً... وليس باربرا!

في اليوم الذي تلا انتقالها إلى شقتها الصغيرة، لفت انتباهها عناوين رئيسية في صفحات الأعمال في الجريدة. فشركة جايمس نجحت في شراء «يونيمت» وانتهى كل شيء. وأخذت ساندرا الجريدة معها إلى المعرض، وأعادت قراءة التفاصيل.

لقد وافقت «يونيمت» أخيراً على عرض جايمس كوريللي وشروطه. وكان هناك الكثير من الحديث عن جايمس، وقرأته بالكامل، وقلبها يخفق. وتجمّعت الدموع في عينيها. الدكتور جايمس كوريللي، طبيب الصحة العامة، الذي تخلى عن عمله، ليتولى الإشراف على شركة الأدوية بعد أن تقاعد والده ثم مات، وتابع جايمس الشاب رسالته. وهو من بنى للشركة هذا المركز التجاري الكبير.

وانتقلت ساندرا لتقرأ عن تفاصيل العقار الجديد الذي طورته الشركة... العقار الهرموني، الذي قامت بكل شجاعة بتوصيل نتيجة الأبحاث عليه إلى باريس، ومع أن جايمس قد ضاعف ملايينه من وراء هذا، إلا أنها لم تتلقى شيئاً سوى تحطيم قلبها.

لقد تم تطوير الدواء لمعالجة العقم لدى النساء... التوتر... ضغط هذه الأيام.. الأسباب النفسية، وهناك آلاف النساء دون أطفال، وهذا الدواء سيساعدهن... وابتلعت ساندرا دموعها، وطوت الجريدة على ركبتيها.

كيف استطاعت أن تتخيله بارداً وغير إنساني؟ فحتى تصرفه السلبي تجاه إدمان جان بيار كان مبرراً، ما كان يجب عليها أن تحمّله التفكير بالأمر. ولكن معاملته لها لا يمكن غفرانها. لقد جعلها تقع في حبه.

وتنهدت ساندرا بعمق، إنه لم يجبرها على شيء، ولا يمكن أن تلوم سوى نفسها، فقد كانت تعلم طوال الوقت أنه ليس لها. وسمعت

صوت الجرس المعلّق فوق باب المعرض، فرفعت رأسها من تفكيرها، وخرجت من غرفة المكتب الصغيرة. وصاحت بدهشة:

- ستيفن! أوه.. ستيفن.. هل هناك شيء سيء، هل هناك؟.. ليس جايمس... حادثة...؟

- يا إلهي... لا. مع أن اهتمامك كالموسيقى في أذني.

وتقدّم نحوها وأمسك بيديها في إشارة مطمئنة.

- ولكن هذا يظهر اهتمامك. الوقت لا يزال باكراً للغداء؟ أريد أن أخرج معك.

- الحادية عشرة والنصف!.. لقد أخذت لتوي فترة راحة لشرب القهوة. هل ترغب في فنجان قهوة؟

لماذا هو هنا يا ترى؟ لقد كوّنا معاً صداقة جيدة بينما كانت تعمل لجايمس، ولكنها لم تكن تتوقع استمرار هذه الصداقة بعد ان انتهى المؤتمر الآن، ونظر من حوله وقال:

- إذاً لم يكن هناك إزعاج لك، أريد أن أتحدث إليك لوحدنا دون أن يقاطعنا أحد. هل أنت لوحدك هنا؟

- أجل.. صاحبة المعرض ليست هنا ولن تحضر قبل بعد الظهر، سأقفل الباب وأضع لوحة الإقفال لفترة.

- قد يفوتك مبيع شيء.

- وربما لا.

وصنعت له قهوة في المكتب الخلفي بينما كان جالساً يقلب صفحات بعض الكتالوجات، وجلست ساندرا في مواجهته وتحدثا قليلاً، ثم تنهد ستيفن وقال:

- لم أفعل من قبل شيء كهذا.

- مثل ماذا؟

وشعرت بالخوف، لا بد أن الأمر يتعلق بجايمس، فليس هناك من سبب آخر لوجوده هنا.

ـ ان أعمل سمسار زواج. فلا أستطيع أن أترك هذا الأمر يستمر أكثر. يا ساندرا. وأن أشاهد شخصين عنيدين يعانيان الألم بسبب غباوتهما.

وانحنى إلى الامام وأخذ بيدها.

ـ جايمس أصبح محطماً بعد أن غادرتي باريس.

ونظرت إليه ساندرا. لا بد أنه قد شاهد العلاقة بينها وبين جايمس تنمو خلال الأيام القليلة التي أمضتها في باريس، ولكنه لا يعرف شيئاً عن دور باربرا في هذا الثلاثي. وقالت بمرارة:

ـ وهل تحطم لدرجة أنه لم يتصل بي منذ ذلك الوقت.

ـ أنت من تخليت عنه يا ساندرا. فماذا تتوقعين من الرجل أن يظن؟

ـ لا يهمني ما يظن يا ستيفن.

وامتلأت عينيها بالدموع فجأة فأحنت رأسها:

ـ أنا أحبه، ولهذا كان عليّ أن أتركه... فأنا لا أعني له شيئاً. شكراً لمحاولتك أن تصلح الأمور... ولكن هذا مستحيل.

وابتسمت بشجاعة وتابعت.

ـ لا أستطيع منافسة شقيقتي، وليس من العدل أن أفعل. اعتقد انه كان عليك ان تبحث عن الوقائع قبل أن تأتي إلى يا ستيفن.. جايمس وباربرا سوف يتزوجان!

ولم تبدو عليه الدهشة لكشفها هذه المعلومات.

ـ أوه... لقد بحثت عن الوقائع قبل أن أجيء إلى هنا. وأعلم بما أنت مؤمنة به، ولكنك مخطئة. لن يكون هناك زواج بين جايمس

وشقيقتك. مسكينة باربرا، إنها مغرورة جداً بأهميتها حتى أنها أقنعت نفسها بأنها الدعامة الوحيدة لحياة جايمس.. فكّري بالأمر يا ساندرا.. فكري بجايمس الذي تعرفينه. فكري بي وأنا أتبعك في كل أنحاء باريس لأن جايمس كان قلقاً عليك لدرجة المرض... فكري بما فعله لصديقك..

ـ جان بيار؟ ماذا تعني؟

وتنهد ستيفن ثم قال:

ـ الا تعلمين؟ كان على باربرا أن تخبرك. ولكن ربما كان الأمر مؤلماً لها. لا بد أنها أدركت كم أن الأمر مبؤس منه بالنسبة لها.

ـ ستيفن! أنت تتكلم بالألغاز! ولا أفهم ما تعني.

فابتسم وقال:

ـ أسف، لا بد أنني قد حيّرتك.. أليس كذلك؟ صبيحة سفرك، دبّر جايمس أمر زيارة سارة لصديقك الفنان، لتعرض عليه عرضاً. ولو وافق كان جايمس سيدفع له تكاليف علاجه من الإدمان على المخدرات في مركز علاج في ضواحي باريس.

ـ أوه... ستيفن!...

ـ إنه أفضل مركز علاج يمكن للمال أن يوفّره، ولقد وافق صديقك. وهو هناك الآن، ويبدو أنه يحرز تقدماً ملحوظاً. ولقد فعل جايمس هذا لك، وتظنين بأنه ليس مهتماً؟

ـ لم أكن أعلم يا ستيفن. باربرا لم تقل كلمة عن الموضوع لي. أوه.. ستيفن، كان هذا... شيء رائع منه. لقد سبّبت له اوقاتاً عصيبة حول جان بيار... ولكن... ولكن ماذا عنيت بقولك إن باربرا لا بد أنها أدركت أن الأمر مبؤس منه؟

ومال ستيفن على كرسيه وقال:

ـ باربرا وقعت بحب جايمس من أول يوم انضمّت فيه إلى الشركة منذ سنة. إنها سكرتيرة ممتازة، أفضل سكرتيرة في الشركة. وكان جايمس دائماً سريعاً في تقدير أهميتها، وأعتقد أنها أخذت الأمر شخصياً حتى أنها ظنّت بأنه سيقع في حبها ولكن جايمس لم يشعر بشيء تجاهها... كان يعيش لعمله. وباربرا كانت دائماً إلى قربه. وآمنت بأن انتهاء ضغط العمل عليه سوف يدفعه للنظر إليها كامرأة وليس كسكرتيرة قادرة. ثم حدث ما حدث في باريس. وأدركت بعد أن لاحظت التأثير الذي تركتيه على جايمس بعد تخليك عنه، كم أن الأمر ميئوس منه بالنسبة لها. ومنذ باريس راقبته وحاله تسوء، وكان الضغط عليها فظيعاً. وأخيراً انهارت واخبرتني كل شيء.. كيف تشعر تجاه جايمس، وكم هي آسفة لما قالته لك.

وللحظات، كانت مصدومة لدرجة لم تعد تستطيع الكلام. ووقفت ببطء، وتحركت نحو إبريق القهوة، وملأت فنجانيهما من جديد... جزء منها كان يشعر بالسعادة الغامرة... جايمس يحبها هي... والباقي كان يشعر بالألم الشديد على باربرا.

ـ ساعديها يا ساندرا.. كبرياؤها ممزقة وهي بحاجة إليك، كي تعيد بناءها، حاولي أن تسامحيها.

ـ أنت تهتم فعلاً بشقيقتي... أليس كذلك؟

شكراً للسماء، لقد أرسلت ستيفن لباربرا كي يواسيها. وقال بهدوء:

ـ أظن أنني وقعت في حبها لحظة أن وقعت هي في حب جايمس.

ـ أوه يا ستيفن... وماذا ستفعل؟

ـ لن أستسلم، إنها بحاجة إلى صديق في هذه اللحظات، وأنا ساكون ذلك الصديق.

بعد أن خرج ستيفن، أخذت ساندرا تذرع المعرض. كانت تنظر إلى اللوحات دون أن تراها، أرادت أن تضحك، وأن تبكي من السعادة، ولكن الحياة ليست بهذه البساطة، لقد أراح ستيفن أفكارها حول مشاعر جايمس نحوها، ولكنه لم يقدّم حلاً، لكيفية إعادة كل شيء إلى ما كان عليه. هل عليها أن تتصل به، وأن تقول له إنها تحبه وتطلب منه الغفران؟ لأن كل شيء كان غلطة منها، إنها لم تثق به، وصدّقت أكاذيب شقيقتها... باربرا، يجب أن تتحدث مع باربرا أولاً.

في المساء، دخلت إلى شقة باربرا.. فقد كان المفتاح لا يزال معها ـ وكانت باربرا تتحدث على الهاتف في الردهة، والتفتت بدهشة عندما دخلت.

وانتظرتها ساندرا في غرفة الجلوس، وهي غير متأكدة مما ستقوله لها، ولكنها تعلم أن الأمور بينهما يجب أن تكون على ما يرام. فعلى كل الأحوال، هما شقيقتان، والشقيقات يجب أن يكنّ صديقات.

ـ ساندرا.

ـ باربرا.

تكلمتا معاً في وقت واحد، ثم ساد الصمت بينهما. وتحركت ساندرا أولاً، وتقدمت نحو باربرا لتمسك بيديها، كانتا باردتين وترتجفان. ورفعت باربرا رأسها بكبرياء، كانت تضع أقل ما يمكن من الماكياج وشعرها مرتب، ولكن هذه ليست باربرا التي تعرفها ساندرا، هذه شاحبة.. نسخة باهتة من شقيقتها وفجأة انهار كبرياء باربرا، وبصرخة احتضنتها ساندرا بين ذراعيها.

ـ أوه يا باربرا.. لم أكن أعلم... لم أكن أقصد.. سامحيني.

الصغرى تواسي الكبرى، وكان قلب ساندرا يتمزق من أجل شقيقتها.

ـ ساندرا، كنت فظيعة معك، هل تستطيعين أن تسامحيني؟

وجذبتا كرسيين إلى جانب المدفأة الكهربائية وجلستا وذراعيهما فوق كتفي بعضهما، وأخذتا تتحدثان. للمرة الأولى في حياتهما كانتا تتحدثان. وقالت باربرا:

ـ شيء بداخلي قفز عندما دخلت إلى غرفة نومه ووجدتك في فراشه. لقد بدوت لي صغيرة جداً وبريئة جداً، ولكن بريق الحب كان لا يزال على وجهك.

وحدّقت ساندرا في المدفأة، وتذكرت جايمس، وجعل هذا وجهها يلتمع بالاحمرار، لا بد أن ذلك قد عذّب باربرا.

ـ أفهمك يا باربرا. كان من الممكن أن أتصرّف نفس التصرف لو حدث هذا لي.

وهزت باربرا رأسها.

ـ ليس أنت يا ساندرا، فليس لديك ذلك الدافع القاسي... لقد كنت دائماً أغار منك وأنت تعرفين هذا.

ـ لقد أخبرني والدي هذا الأمر منذ زمن، ولم يكن في يدي شيء أفعله. كنت طفلة، وعندما كبرت عاتبتهما على قساوتهما عليك. لقد كنت أدرك ماذا فعلاه لك، ولكنهما لم يدركا أن ما كانا يفعلانه يؤذيانك به. وأنا سعيدة لأننا نتحدث بالأمر الآن. إننا العائلة الوحيدة لبعضنا..

ـ وأمامنا العديد من السنوات لنعوضها يا ساندرا. وسيختلف كل شيء من الآن وصاعداً، فالمفروض أن أكون أنا الشقيقة الكبرى الراشدة، ولكنني لم أكن ذكية فيما يتعلق بجايمس، أليس كذلك؟ انتهى كل شيء الآن، ولقد خرج من حياتي إلى الأبد. لقد أعطيته أنت شيء لم أتمكن من إعطاؤه له.. لقد أشعلتيه، وجعلتيه يصبح حياً، وعندما تركتيه بدأ يذوي كالشمعة المحترقة في مهب الريح،

ولست أدري كيف تحمّل تلك المحادثات في شيكاغو. كان منهاراً تماماً. وأنا سعيدة لوجود ستيفن لإنقاذ كل شيء. لقد أقنعني وجعلني أدرك كم أنت وجايمس مناسبان لبعضكما.

ـ ستيفن يهتم بك يا باربرا.

ـ أعلم.. وأنا أهتم به أيضاً. من المؤسف أنني كنت عمياء عن هذه الحقيقة. ولكن ربما سأعوضه بطريقة ما. فالوقت مناسب لي وله الآن.

ونظرت إلى الساعة القديمة على حائط الغرفة وقالت:

ـ الأفضل أن تذهبي الآن يا ساندرا.

وضحكت للدهشة التي برزت على وجه ساندرا.

ـ لا.. أنا لا أطردك، ولكن الأفضل أن تعودي إلى شقتك، سوف يحضر إليك زائر عما قريب.

ووقفتا معاً، وتعانقتا.

ـ لقد كنت أتصل بجايمس عندما وصلتي، وقلت له الحقيقة، وكل الأشياء الفظيعة التي قلتها لك. وهو الآن يعرف سبب تركك باريس بسرعة.

ـ وهل كانت لديك الشجاعة لتفعلي هذا يا باربرا؟

وضحكت باربرا:

ـ جنون... أليس كذلك؟ لقد كنت خائفة من مواجهتك أكثر من خوفي من رئيسي؟ وأراد أن يراك يا ساندرا، لذا أعطيته العنوان.

وصاحت ساندرا وعيناها تشرقان بالسعادة:

ـ هل هو قادم إلى شقتي!

ـ لا تقولي إنك تركت الشقة في فوضى هذا الصباح؟

ـ أوه.. لست مهتمة بهذا... أوه... باربرا، ماذا سأقول له؟..

لقد تركته وسافرت.. لم أثق به...

ـ تمالكي أعصابك... وكوني على طبيعتك، وسوف ينجح الأمر.

وتملك ساندرا الذعر عندما عادت إلى شقتها، لن ينجح هذا.. لقد توقعت أن يكون منتظراً لها عند الباب، ولكن لم يكن هناك. ونظّفت الغرفة الواسعة، بفراشها المزدوج الذي يمكن طيه. ورتبت الصوفا، وأعادت تنسيق بعض النباتات، وجلست ثم وقفت، وذرعت الغرفة وكادت أن تقفز في الهواء عندما سمعت جرس الباب.

وبدا عند الباب رائعاً، طويلاً، أسمراً ووسيماً ببنطلونه الأسود والكنزة العالية الرقبة وسترته الجلدية الناعمة. عيناه تعبتان، ويبدو الإرهاق والتوتر عليه، وكان يحمل طرداً.

ودون كلمة، جرته ساندرا إلى الداخل، ووضعت ذراعيها حوله، وأرخت رأسها على صدره، تعلقت به وكأنها لن تتركه بعد الآن، كل حبها أظهرته له بهذا العناق الحار والعميق.

ـ يا برعم الصباح... كم أحبك.

ـ جايمس.. لدي الكثير لأقوله لك... الكثير...

واسكتها بوضع يده على فمها. وتمنت لو يتوقف العالم في مكانه في تلك اللحظات، وابتعدت عنه مقطوعة الأنفاس وهي تبرق بالسعادة.

وقالت ضاحكة:

ـ أحبك لدرجة أن هذا الحب يؤلمني. وأنا آسفة يا جايمس.. آسفة جداً لأنني لم أثق بك...

ـ لا تعتذري يا ساندرا.. لقد أجابت باربرا على الكثير...

ـ لا تغضب منها يا جايمس... لم تكن تعرف ماذا تقول أو تفعل.. لقد أحبتك، أتدري.. لقد كانت تغار و....

ـ وكادت أن تدمّر حياتنا.

ـ وهل فعلت؟

وأخذت منه السترة وعلّقتها على التعليقة قرب الباب، واستدارت إليه. ومدّ لها ذراعيه، فدخلت بينهما.

ـ لا يمكن لها أن تدمّر حياتنا يا جايمس.. فبطريقة ما كنا سنعود إلى بعضنا. شيء قوي كهذا لا يمكن أن ينتهي بسهولة بسبب كذبة.

وضحك، ضحكة خفيفة محببة.

ـ كم أنت صغيرة ورومانسية.

ـ اجل.. فأنا لا أزال أحلم ببراعم البرتقال. وبالزواج الأبيض.

ـ إذاً.. سيصبح حلمك حقيقة، يا حبيبتي.. ولكن انتظري. لقد جلبت لك هذا، لأجلنا معاً.

ومزقت ساندرا الورقة عن الطرد، وصاحت من الفرح.

ـ أوه يا جايمس.. لوحة بستان التفاح! أنا أحبها!

ـ لقد اشتريتها ليلة طلبتك للزواج.

ـ يوم طلبتني؟

ـ اجل، لقد طلبتك للزواج في أول ليلة التقينا بها، عندما هربت مني أمام الفندق بعد عشاءنا معاً وزيارة المعرض. ولم تسمعيني يومها. لقد كنت مشغولة بالصراخ عليّ، والاندفاع إلى أبواب الفندق الدوارة.

وضحكت، وهي تهز رأسها غير مصدقة:

ـ لا أصدقك!

ـ هذه هي الحقيقة... ولكنني غيّرت رأيي في الصباح.

ـ وهل غيّرت رأيك؟

ـ لقد ظننت انني جننت. ولذا أردت أن تعودي إلى لندن. في تلك الليلة في المطعم ومعرض سارة كان رأسي يضج بالمشاعر. مشاعر لم

أكن أعرفها من قبل. . . أن ألتقي بهذه الفتاة المجنونة. . وأن أقع في حبها، وأرغب بها حتى أنني شعرت بالغيرة عندما علمت أن لها حبيب سابق في باريس.

ـ ولكنني أخبرتك أن لا شيء بيني وبينه، وأنني لا أرغب في إعادة تلك الصداقة.

ـ لقد كنت مثلك يا حبيبتي. . لم أكن واثق منك.

وجذبها نحوه فوضعت رأسها على صدره، وتابع:

ـ كنا لا نعرف الكثير عن بعضنا، ولم يكن أمامنا الوقت لبناء الثقة.

ـ اوه يا جايمس. . . أنت على حق. لقد حدث كل شيء بسرعة. . . وكيف سنعرف أن كل شيء سيكون على ما يرام الآن؟ أعني. . كم مضى على معرفتنا ببعضنا؟ بضعة أيام. هل هذا وقت كاف. أيكفي لأن نكون واثقين؟

ـ لا أريد أبداً أن امّر في مثل هذين الأسبوعين مرة أخرى في حياتي، يا ساندرا، وهذا أمر أكيد. ما كدت أخرج من اجتماعات شيكاغو، حتى أردت العودة إلى لندن لأعرف لماذا تخليت عني، ولكن كان كل شيء سينهار، ولذا اضطررت للبقاء مدة أطول.

ـ لماذا لم تتصل يا جايمس؟ مجرد اتصال هاتفي.

ـ لقد منعني الخوف. لم أكن أعلم يومها الأشياء الفظيعة التي قالتها باربرا لك. . . كنت خائفاً من أن يكون الأمر قد انتهى بيننا فعلاً، وأنك لم تكوني جادة عندما قلت بأنك تحبيني.

ـ ومع ذلك فعلت ما فعلت لأجل جان بيار. لقد أخبرني ستيفن كل شيء. ومع أنني تركت باريس فقد تحمّلت مشقة مساعدته.

ـ لقد جعلتيني أفكر يا ساندرا. لقد كنت مصممة على فعل شيء له مع أنه سرقك. وأدركت أن نقاشك كان محقاً. لقد كان عمله هذا

صرخة للمساعدة. وكان بإمكاني أن أفعل وهكذا فعلت. . . ولكنك لم تجيبي على سؤالي. .

ونظرت إليه حالمة:

ـ أي سؤال؟

ـ هل تتزوجيني؟

ـ أوه يا حبيبي. . أجل. سأتزوجك. لو أنني سمعتك لقبلت من أول مرة. أتعلم، لقد أحببتك من لحظة أن شاهدتك. وأنت تحاول إصلاح نظارتك وتعاملني بغضب. لقد كنت غاضباً وشريراً، وبحاجة لي بشكل كامل.

وضمّها بين ذراعيه بقوة.

ـ وأنا بحاجة كاملة لك الآن، يا برعمي. سوف نزرع الكثير من الأزهار في حديقتنا كي تعطينا البراعم. وسوف ترسمينها بكل الحب الذي في قلبك. . ستكون رمز حبنا.

ـ أية حديقة؟

ـ لقد اشتريت منزلاً ريفياً صغيراً.

ـ جايمس. .

ـ نعم يا حبيبتي؟

ـ لا تقل لي المزيد.

فضحك لها وأزال خصلة من شعرها الذهبي عن جانب وجهها.

ـ لقد بدأت ألتقط العادات السيئة منك، وأنا قلق، لذا عليّ أن أتكلم. . . فأنا أخاف أن أفقدك في هبة الريح القادمة.

ـ لا تخف من هذا يا دكتور جايمس كوريللي. لن أهرب منك ثانية. أين قلت إن هذا المنزل الريفي موجود؟ في «هارتفو شاير». .

لا أعتقد.. لا.. لا.. لم أذهب إلى هناك من قبل...

وضمّها إلى صدره بقوة

- اخرسي يا ساندرا.

وهكذا فعلت.

النهاية

☆ ☆ ☆

صدر عن دار الفراشة

روايتي مسرحية